الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العقيد الحاج لخضر كلية الآداب والعلوم الإنسانية
باتنـــــــــــة - قسم اللغة العربية وآدابها -

استراتيجية العنونة عند أبي القاسم سعد الله

- الزمن الأخضر أنموذجا -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري

إعداد الطالبة: تحــت إشــراف:
لبنى دلندة د/ صالح لمباركية

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	اللقب والاسم	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	معمر حجيج	أستاذ التعليم العالي	باتنة	رئيسا
02	صالح لمباركية	أستاذ محاضر	باتنة	مشرفا ومقررا
03	فاتح حنبلي	أستاذ محاضر	أم البواقي	عضوا مناقشا
04	محمد منصوري	أستاذ محاضر	باتنة	عضوا مناقشا

السنــة الجامعيــة: 2007/2008 الموافق لـ:1428/1429 هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العقيد الحاج لخضر كلية الآداب والعلوم الإنسانية
باتنـــــــــــة - قسم اللغة العربية وآدابها -

استراتيجية العنونة عند أبي القاسم سعد الله

- الزمن الأخضر أنموذجا -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري

إعداد الطالبة: تحـت إشـــــراف:
لبنى دلندة د/ صالح لمباركية

السنـــة الجامعيـــة: **2008/2007** **الموافق لـ:1429/1428 هـ**

مقدمـــة:

إننا في زمن برزت في فضائه الكلمة الشاعرة بصورة واضحة حتى أصبح صوتها يرن في كل الآذان، إذ لم يعد أحد يجهل ما تحمله من رؤى وتصورات مختلفة، وما تنطوي عليه من شحنات عاطفية متدفقة ومن قيم فنية وجمالية سامية تهتز لها النفوس، وترتاح لها القلوب، وأضحى الكل يدرك وزن القصيدة وما تحمله من معان شملت كل ما في هذا الوجود من أفراح وأحزان على اعتبار أن الشعر هو الوسيلة الأكثر فعالية لاستيعاب مشاكل الإنسان، واحتضان قضاياه الخاصة والعامة، لأن الشاعر هو الذي يسبح في عمق التجربة ليعكسها بصدق محاولا زرعها في النفوس لتنكوي بنيرانها أو تسعد بأفراحها، فبرز إلى الساحة شعراء استلهموا المواقف البطولية واكتووا بنيران الحروب وتجرعوا كؤوس نقيعها المر وحاولوا إيصال لهيبها إلى النفوس، وكم أذابوا الجليد المتحجر في أعماقها!

فهؤلاء الشعراء كثيرون لا يمكن عدهم، استطاع كل واحد منهم أن يصل إلى الجمهور بطريقته الخاصة، ولغته المتفردة، فكان بيت واحد من الشعر يهز كيان أمة بأسرها، وكان عنوان القصيدة يحمل ثقلها ويعكس أفكارها وينطق بمضمونها، وقد وقفت مبهورة أمام عدة عناوين لعدة قصائد أبدعها شعراء، غير أن أكثر العناوين التي شدت بصري ولفتت انتباهي هي تلك التي انغرست تحت ديوان "الزمن الأخضر" للشاعر أبي القاسم سعد الله، فوجدت نفسي متأثرة بالعنوان قبل أن أغوص في بحر أشعاره، ومن ثم راودتني الفكرة أن أدرس هذه العناوين، فخطر لي أن أختار عنوان "استراتيجية العنوان في ديوان الزمن الأخضر للشاعر أبي القاسم سعد الله" رغم إدراكي أن من أصعب الأمور التي تواجه الباحث في بحثه هو اختياره للموضوع، على اعتبار أن هناك تشعبا كبيرا لعدة إشكاليات قد يقف الباحث أمامها حائرا، خصوصا إذا تعلق الأمر بشخصية بارزة كأبي القاسم سعد الله، لها من الفكر ما تعجز أمامه الأقلام، لأنه غاص بعمق في قلب الواقع بشتى مجالاته، وحدق في فيافي هذا الواقع في بلاده، فإذا كل شيء أخضر قد ذبل و اصفر، وإذا بالكون يعمه الموت والفناء وإذا الناس سكارى وما هم بسكارى، فتفتقت قريحته، وانسابت في هذا الواقع متحدية الألم والموت والاستعمار، وراح يستوقف الحدث ليسترجع الزمن الأخضر بكل ما يحمله هذا اللون من دلالات وأبعاد ترسم الأمل في النفوس، فاستلهمني هذا العنوان - الزمن الأخضر- لما يبعثه من راحة في النفس وطمأنينة في القلب، بالإضافة إلى ذلك إعجابي الكبير بأشعار أبي القاسم سعد الله وما تحمله من رؤى وتصورات ورغبتي في دراسة عناوين قصائد ه دفعتني إلى اختيار هذا العنوان محاولة الإجابة عن عدة تساؤلات منها: كيف كان أبوا القاسم سعد الله يعنون قصائده؟ ولماذا اللون الأخضر بالذات في

الديوان؟ وما مدى علاقة العنوان الرئيسي بالعناوين الفرعية؟ وما مفهوم العنوان عنده؟ وما هي أبعاد وتقنيات هذه العناوين ؟ وكيف استطاع أن يلون ديوانه بالأخضر ؟ وهل صحيح أن العنوان كما يذهب إلى ذلك بعض النقاد يفك عقد النص ويحل ألغازه؟

هذا ما سيحاول البحث الإجابة عنه من خلال الخطة التالية:

التمهيد: تناولت فيه المفهوم والسيرة؛ حيث حاولت أن أُعرّف العنونة لغة واصطلاحا ، وان أُعرّج على سيرة أبي القاسم سعد الله بإيجازه، سواء من حيث مولده وثقافته أو نشاطه أو مؤلفاته...

أما في الفصل الأول : والذي عنونته بالعنوان الرئيسي وعلاقته بالعناوين الفرعية، فقد تناولت فيه دلالات اللون الأخضر ، ثم العنوان الرئيسي وأبعاده بما فيها البعد الديني والطبيعي والثوري والفسيولوجي، ثم حاولت أن أبين دلالة الزمن الأخضر في القصيدة الرئيسية، وعلاقة العنوان الرئيسي بالعناوين الفرعية، وبيّنت كيف تتوالد هذه العناوين وتتناسل من بعضها البعض لِتكوّن فضاء معرفيا هو فضاء العنونة في ديوان أبي القاسم سعد الله.

أما الفصل الثاني: فقد تطرقت فيه إلى علاقة العنوان الرئيسي بسياجات النص بوصفها بوابات وعتبات تُحيلنا على النص، وتشير إليه، وقد تكون هُويّة له، بحيث مهدت لهذه البوابات ، ثم وقفت على الديوان وحاولت تقديم مقدماته ، وتعريف هذه المقدمات لغة واصطلاحا ، وتقسيمها إلى مقدمات عامة ومقدمات خاصة، وهي المنهجية ذاتها التي اتبعتها مع المناسبات والإهداءات ، وخرجت بخلاصة تفيد بأن كل هذه العتبات تتناسل، تتحد، تتكامل، وتتواصل في فضاء زمني واحد، هو فضاء الزمن الأخضر.

أما الفصل الثالث: فحاولت فيه الوقوف على تقنيات العنونة ودلالاتها ، وقسمته إلى عناوين اسمية وعناوين فعلية و أخرى شبه جملة، وارتأيت بعد الإحصاء والتأمل أن العناوين الاسمية هي التي تأخذ حصة الأسد في ديوان الشاعر، لأنه ينتمي إلى حركة الإصلاح، فهو ذو شخصية ثابتة تراثية خضراء اللون تبحث عن الثبات والهدوء، ولذا جاءت في معظمها مبتدؤها محذوف تقديره في أغلب الحالات هذا، أما الجمل الفعلية فهي قليلة قلة الحركة في طبيعة أبي القاسم سعد الله المؤرخ، المفكر، الهادئ ...

أما   العناوين شبه الجملة فهي تكاد تكون منعدمة، وقد وردت في معظمها تدل على أن الشاعر يحتاج إلى استناد يتكئ عليه...

وعلى العموم، فإن أبا القاسم سعد الله في ديوانه الزمن الأخضر، كان رجلا يؤمن بالاخضرار من أخمص قدميه إلى أعلى رأسه، وكان يختار عناوينه اختيارا ، وفي كل ذلك اتبعت المنهج الوصفي الاستقرائي، إذ أصف الظاهرة، وأستقر ؤ ما فيها من مظاهر وأحللها وفق ما يترا ءى لي من معطيات أدبية علمية، وقد ألتجئ إلى الإحصاء وخاصة في النسب وإلى التاريخ في بعض القضايا وبخاصة في بوابات النص، وسياجاته وفي كل ذلك كان ديوان الزمن الأخضر يرافقني ، وكانت عناوينه تؤرّقني، فكنت كالقابض على الجمر، متسللة من كتاب إلى كتاب، ومن مكتبة إلى مكتبة، كما أبحر أحيانا في عالم الانترنيت...

ولعل أهم مراجعي هي تلك الكتب التي تناولت موضوع العنونة   ، أو تلك التي مسّت أباالقاسم سعد الله من قريب أو بعيد، إضافة إلى بعض المجلات التي أ   خذت بيدي إلى إنهاء هذه المذكرة، ولعل أهم المراجع التي رافقتني خلال هذا البحث تتمثل في الآتي:

- بسام قطوس: سيمياء العنوان.
- جميل حمداوي: السيميوطيقا والعنونة.
- أم سهام (عمايرية بلال): جولة مع القصيدة "تأملات وخواطر حول الشعر".
- عبد الكريم بوصفصاف: المسيرة العلمية والسيرة الذاتية لأبي القاسم سعد الله.
- عبد الصمد زايد: مفهوم الزمن ودلالته.
- محمد زكي العشماوي: الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد.
- أحمد مختار عمر: اللون واللغة.
- عبد الله حمادي: سلطة النص.
- بعض الرسائل الجامعية مثل: رسالة استراتيجية العنوان في الكتاب النقدي لحليمة قطاي، واستراتيجية العنونة عند محمود درويش، مقاربة سيميائية لنسيمة بن عباس و الكتابة الأدبية عند أبي القاسم سعد الله لعبد السلام ضيف.

وخرجت بخاتمة جمعت فيها بعض الملاحظات التي ارتأيت أنها تفيد القارئ في هذه الرحلة، وكان كل ذلك بمساعدة أستاذي المشرف الذي أنار لي الطريق في هذا البحث فله مني جزيل الشكر وجميل العرفان، وفي الختام أضع قلمي وأحمد الله وأشكره وأتوب إليه.

- تمهيـــد:

العنوان: إنها كلمة صغيرة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، وتحمل بين ثناياها قضايا كبيرة ومتشعبة تحضن آفاق الحاضر والمستقبل، لذلك فهي تحتاج إلى وقفات طويلة متأنية، لأنها تعكس قدرة الشاعر على تحمل الأعباء الثقيلة الملقاة على عاتقه منذ الأزل... ذلك أن "الشعر هو الوعاء الحامل لهموم الإنسان، فهو كما يقال: مغامرة واعية إلى المناطق المجهولة ورحلة مضنية مرهقة وحافلة بالمعاناة الكبرى، وهذه المغامرة لا تكون إلا طريقا لتحقيق الوجود أو إدراك معنى هذا الوجود، فهو يُعدّ فتحا وكشفا لعوالم جديدة وتفجيرا لواقع معاش" [1]، شحنت أحداثه نفس الشاعر فتفجر بركانها الذي يأبى الركود والسكون ويسعى لنشر قيم الحب والجمال والخير والآمال، لأنه أدرك أنه لن يكتسب "حرارة التجربة الشعرية وصدقها وأصالتها إلا بالتعامل المتين مع نسيج هذا الواقع" [2] هذا الأخير الذي فرض نفسه بقوة خاصة إزاء ما يحدث تحت سقف العروبة في خضم الأحداث الدامية، والتي هي بحاجة إلى بيت شعري يهزّ به الشاعر كيان القارئ فما بالك بقصيدة يسمها عنوان يعكس أفكارها ويحضن معانيها ذلك أن "القصيدة مازالت ذلك الرغيف الذي يبحث عنه كل إنسان، ومازالت تلك الومضة من الضياء التي تنير كهوف النفس البشرية، ويشع فيها الأمل المفعم بالمحبة والخير ... وأن دروب الكلمة الصادقة ليست مفروشة بالورود كما يظن البعض، بل هي دروب المعاناة والتضحية ... " [3] من اجل سعادة الآخرين وتفجير شلالات من الخير والجمال وينابيع من الحب والعطاء، ولعل هذا ما جعل الكثير من المواهب الشعرية تبرز إلى الوجود وعلى رأسها يبرز أديبنا وشاعرنا الكبير " أبوا القاسم سعد الله" الذي اتخذ من الشعر سلاحا فعالا لإبراز قيمة الإنسانية العالية ومواجهة الطبيعة القاسية التي تحيط به، فجاء شعره واعيا لواقعه، وثورة فكرية وجدانية ضد الظلم والفساد والاستبداد، كما جاء معبرا عن مشاعر فردية تفرزها معاناته الخاصة لدروب الحياة والتي تعكسها بصدق تلك العناوين التي كان يَسِمُ بها قصائده فأصبح العنوان في حد ذاته بركانا شعريا يتفجر دلالات بإمكانها احتواء النص بأسره.

(1) : أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيدة "تأملات وخواطر حول الشعر"، رقم النشر 2096/ 85، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 13.
(2) : المرجع نفسه، ص: 14.
(3) : المرجع نفسه، ص: 16.

المفهوم والسيرة

أولا: مفهوم العنونة:

أ/ مفهوم العنوان لغة:

ورد في لسان العرب عن العنوان مادتين أساسيتين تحيلان إلى مصطلح العنوان:

- المادة الأولى[1] مادة عنا:

عَنَا النبت يَعْنُو إذا ظهر، وأَعْنَتَهُ وأظهره وعَنَوْتُ الشيء أَخْرَجْتُهُ، قال ذو الرمة:

ولم يبق بالخلصاء ما عنت به   من الرطب إلا يبسها وهجيرها

ويقال: عَنَيْتُ فلانا عَيْنًا أي قصدته، وَمَنْ تَعْنِى بِقَوْلِكَ؟ أي من تقصد؟ وقيل معنى قول جبريل عليه السلام "في حديث الرقية" يَعْنِيكَ أي يَقْصِدُكَ.

وتعني القصد: يقال عَنَيْتُ فلانا عَنْيًا أي قصدته، ومن تعني بقولك؟ أي من تقصد؟

يقال عَنَيْتُ فلانا عَنْيًا أي قصدته، و عَنَيْتُ بالقول كذا أردت، وَمَعْنَى ومَعْنَاتَهُ ومَعْنِيَّتُهُ مقصده.

وعُنْوَان الكتاب مشتق فيما ذكروا من المعنى وفيه لغات عَنْوَنْتُ وعَنَنْتُ، قال الأخفش عَنْوَنَ الكتاب، وأَعَنَهُ وأنشد يونس:

فطن الكتاب إذا أردت جوابه   واعن الكتاب لكي يسر ويكتما

قال ابن سيدة: العِنْوَانُ والعُنْوَانُ سمة الكتاب، وعَنْوَنَهُ عَنْوَنَةً وعُنْوَانًا وعَنَا كلاهما، وسمهُ بِالْعُنْوَانِ، وقال أيضا والعَنْيَان سمة الكتاب، وقد عَنَاهُ وأَعْنَاهُ.

([1]): ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 310.

وقال في جبهته عُنوان من كثرة السجود، أي أثر:

واشمط عنوان به من سجوده   كركبة عتر من عنوز بني نصر

- المادة الثانية [1]عَنَنَ:

عَنَّ الشيء يَعِنُّ ويَعُنُّ عَنَنًا وعُنُونًا، ظهر أمامك، وعَنَّ يَعِنُّ عَنًّا وعُنُونًا واعْتَنَى اعترض وعرض، ومنه قول امرئ القيس:

فعن لنا سرب كان نعاجه

والإعْتِنَان الاعتراض، وكذلك العَنَنُ من عَنَّ الشيء أي اعترض وعَنَنْتُ الكتاب وأَعْنَنْتُهُ لكذا أي عرضته له وصرفته إليه، وعَنَّ الكتاب يَعِنُّهُ عَنًّا وعَنَنَهُ. كَعَنْوَنَهُ، وعَنْوَنْتُهُ وعَلْوَنْتُهُ بمعنى واحد، مشتق من المَعْنَى، وقال اللحياني: عَنَّنْتُ الكتاب تَعْنِينًا وعَنْيَنْتُهُ تَعْنِيَةً إذا عَنْوَنْتُهُ، أبدلو من إحدى النونات ياء سمي عِنْوَانًا لأنه يَعِنُّ الكتاب من ناحيته، وأصله عِنَانْ، فلما كثرت النونات قلبت إحداها واوا، ومن قال عُلُوَان الكتاب جعل النون لاما لأنه أخف وأظهر من النون.

ويقال للرجل الذي يعرض ولا يصرح: قد جعل كذا وكذا عنوانا لحاجته، وأنشد:

وتعرف في عنوانها بعض لحنها   وفي جوفها صمعاء تحكي الدواهي

قال ابن بري: والعنوان الأثر، قال سوار بن المضرب:

وحاجة دون أخرى قد نسحت بها   جعلتها للتي أخفيت عُنْوَانًا

قال: وكلما استدللت بشيء تظهره على غيره فهو عنوان له كما قال حسان بن ثابت يرثي عثمان رضي الله تعالى عنه:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به   يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

([1]): ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص: 311- 312.

قال الليث: **العُلْوانُ في العُنْوَانِ غير جيدة** والعُنوان بالضم هي اللغة الفصيحة.

قال أبوا داوود الرواسي:

لمن طلل كَعُنوانِ الكتاب ببطن أواق، أو قرن الذهاب؟

قال ابن بري: ومثله لأبي الأسود الدؤلي:

نَظَرْتُ إلى عُنوانِهِ فَنَبذْتهُ كَنبذِكَ نَعْلاً أَخْلَقْتَ مِنْ نِعَالِكَ

وقد يكسر فيقال: عُنوانُ وَعِنْيَان[1]

وفي متن اللغة:

عَنَّ الشيء لكذا، وعَنَّنَهُ، وأَعَنَّه، عرض له، وصرفه إليه والكتاب عَنْوَنَهُ، عنّى الكتاب تَعْنِيَةً: عَنْوَنَهُ، جعل له عُنْوَانَا، وعَنْوَنَ الشيء: جعل له عُنْوَانًا، كتب عُنْوَانَهُ، وأصله عَنَنهُ، وعَنَّاه كذلك والعُنْوانُ، والعِنْوانُ، والعُنْيانُ والعِنْيانُ، والعُلْوانُ لغة غير جيدة من الكتاب، ومن كل شيء وكل ما استدل به على سائره، والأثر، وأصله عُنَّانُ، عنَّ الكتاب عَنْوَنَهُ [2].

تجمع إذن كلم "العُنْوَانْ" من مادة "عَنَا" الدلالات معنى قصد –سمة– أثر بما لا يخرجها عما لها من مادة "عَنَنَ" ولا يختلف الأمر في القاموس "المحيط" عما سبق منه في "لسان العرب" ويختلف الأمر فقط حين ألحق صاحب "القاموس" فعل العنونة بالمادة "عَنَّنَ" أما مصدره فوضعه تحت مادة "عَنَا" [3].

(1): ابن منظور، لسان العرب، ص: 310– 312.
(2): أحمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1960، المجلد الرابع، مادة (عَنَنْ) ص: 287.
(3): الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة – الباب الحلبي– القاهرة، الطبعة الثانية، 1970، الجزء الثالث، مادة (عَنَن)، ص: 332، ومادة (عَنَا) ص: 334.

ولعل الجدول الآتي يلخص دلالات المادتين:

مادة (عَنَنَ)	الدلالة
عَنَ الشيءُ يَعُنُّ عَنَنًا وعُنُونًا... ظهر أمامك	الظهور
اعتَنَّ: اعترض وعرض	الاعتراض
عَنَنْتُ الكتاب وأَعْنَنْتُهُ لكذا أي عرضته له	العرض
يقال للرجل الذي يعرض ولا يصرح،قد جعل كذا وكذا عُنْوَانًا لحاجته	التعريض وعدم التصريح
عَنَّى الكتاب تَعْنِيَةً، عَنْوَنَهُ	العنونة
والعُنْوَان الأثر	الأثر
كلما استدللت بشيء تظهره على غيره فهو عُنْوَانُ له	الاستدلال
مادة (عنا)	الدلالة
عَنَتِ الأرض بالنبات، تَعْنُو عُنُوًّا ... أظهرته	الظهور
وعَنَوتُ الشيء أخرجته	الخروج
عَنَيْتُ فلانا عَنْيًا أي قصدته .. ومعنى كل كلام مقصده	القصد
عَنَيْتُ بالقول كذا أَرَدْتُ	الإرادة
العُنْوَانُ والعِنْوَانُ: سمة الكتاب	سمة
في جبهته عُنْوَانٌ من كثرة السجود، أي أثره.	الأثر

إن هذه الدلالات اللغوية التي يحملها العنوان "تكاد تكون لصيقة بالمعنى الاصطلاحي أو بدلالته الاصطلاحية[1]، فظهور العنوان يعني سطوته وتجبره على المبدع والقارئ معا فأما الأول فمن حيث اعتباره صاحب الصدارة في النص؛ لأنه المنتج الأول له، وأما على الثاني فلكونه يمتد بسلطته على القارئ فيفرض نفسه عليه، وهو الأمر الذي بني عليه معنى الخروج، إذ لا يخرج الأمر إلا ليظهر، كما أن العنوان لا يخرج إلا ليكشف عن نفسه حاملا الكثير مما يخفي النص، ومختزلا فكرا بعينه.

([1]): بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص: 31.

وأما القصد والإرادة فسمتان بارزتان في العنوان لأن العنوان "في الوقت الذي يقود القارئ إلى العمل هو من زاوية يخبرنا بشيء ما"[1]؛ لأنه ورغم كونه خطابا قصيرا إلا أنه يتفجر دلالات بإمكانها احتواء النص بأكمله، ولعل هذا ما يجعل "الكاتب يجهد نفسه في اختيار عنوان يلائم مضمون كتابه لاعتبارات فنية وجمالية ونفسية وحتى تجارية" [2] تجعل القارئ يخضع لهذه المقصدية التي هي في الأصل نابعة من إرادة المبدع سواء كانت "ذهنية أو فنية أو سياسية أو مذهبية أو إيديولوجية..." [3].

وأما الاعتراض فهو وقوف العنوان بين القارئ والنص؛ لأنه "أول لقاء مادي (فيزيقي) محسوس بين القارئ والكاتب/ أو القارئ بالكاتب" [4] وكأن العنوان يعلن عن نفسه محاولا البروز والظهور والاعتراض أمام القارئ ليستفزه فيحرك فيه وجع القراءة لينتج هو الآخر عملا فنيا استنادا على النص وانطلاقا من العنوان [5] وأما الأثر فأن للعنوان أثرا بارزا في مقدمة الكتاب يشبه أثر السجود في مقدمة الرأس ومنه قوله تعالى: ﴿ **سيماهم في وجوههم من أثر السجود** ﴾[6] فيكون بذلك اثر السجود في الوجه علامة لمن "كثرت صلاته بالليل" [7]، فكذلك العنوان له أثره في مقدمة الكتاب كالاسم للمسمى.

وأما كون العنوان سمة الكتاب، فذلك بيت القصيد فهو "وسم له وعلامة عليه" [8]، وما سمي العنوان عنوانا إلا أنه يسم الكتاب ويميزه عن غيره.

تلكم بعض الدلالات اللغوية للعنوان، ولكن مالمقصود بالعنوان اصطلاحا؟

([1]): المرجع نفسه، ص: 31.
([2]): عمر سطايحي ،(من جيفة الصيف إلى فاكهة الخريف حول رواية عيسى شريط "الجيفة")، جريدة الشروق اليومي الأحد 24 أكتوبر 2004 الموافق لـــ:10 رمضان 1425 هــ، السنة الرابعة، العدد 1213، ص: 15 ،نقلا عن عبد القادر رحيم سيميائية العنوان في شعر مصطفى محمد الغماري، ص:20.
([3]): بسام قطوس، سيمياء العنوان، ص: 31.
([4]): المرجع نفسه، ص: 31.
([5]): ينظر: حليمة قطاي، استراتيجية العنوان في الكتاب النقدي القديم، بحث مقدم لنيل شهادة الماجيستير جامعة العقيد الحاج لخضر، 2005/2004 ص25
([6]): الفتح/ 29.
([7]): ابن كثير، تفسير بن كثير، دار الحديث، القاهرة، مصر، الكويت، الجزائر، ط1، ص: 1949.
([8]): بسام قطوس، سيمياء العنوان، ص: 31.

ب/ مفهوم العنوان اصطلاحا:

قديما قيل "إن الكتاب يقرأ من عنوانه" [1] قد تبدو هذه العبارة لأول وهلة بسيطة، عادية لكنها في الواقع تجرنا سنين إلى الوراء لترسم لنا قيمة العنوان منذ الولادة الأولى له، كيف لا وهو في حد ذاته "طاقة شعرية"[2] لما يحتويه من مخزون وطاقة دلالية، فهو –دون منازع- أول العتبات التي توصل القارئ إلى الحقيقة النصية، رغم كونه خطابا قصيرا إلا أنه يتفجر دلالات بإمكانها احتواء النص بأكمله، وربما أكثر من ذلك الإحالة إلى ما لا يقول النص، فهو كما يراه الدكتور بسام قطوس: "يجسد أعلى اقتصاد لغوي ممكن يوازي أعلى فعالية تلق ممكنة" [3] وبذلك فهو يتفتح على أكثر من قراءة نظرا للمعنى الذي يلفه، فيختصر النص بأكمله ليبوح بأشياء ويتكتم عن أشياء وفي كل مرة يبعث في القارئ الرغبة في الدخول إلى عالم المغامرة، محاولا الغوص في أعماق النص، هذا الأخير الذي يعتبر السلطة العليا التي تحكم كل التآويل... غير أن العنوان قد يقول ما لا يقوله النص وذلك من خلال سلطته الدلالية التي تعد انفجارية إذا ما استُفزت قرائيا، لذلك فهو "كالنص، أفق، قد يصغر القارئ عن الصعود إليه، وقد يتعالى هو عن النزول لأي قارئ" [4] كما قد يتسلط القارئ عليه فيوسع رقعته لتطل من على شرفة مضمون النص.

والعنوان باعتباره يمثل النص الشعري يعد صورة انفجارية لما يحويه هذا الأخير وما ينطوي تحته من معان وأفكار، فهو يقول في لحظة ما لا يقوله النص في ساعات، وقد يتجاوز ذلك فيوحي بما لا يقوله النص، وما يتكتم عنه من أسرار فهو بذلك "حمولة مكثفة للمضامين الأساسية للنص، وهو وجه النص مصغرا على صفحة الغلاف" [5]، ولهذا شغفت السيمياء بالعنوان لكونه "ضرورة كتابية" [6] جعلت منه "مفتاحا أساسيا يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها"[7] لاكتشاف بصمات الجمال فيها.

---

(1): بسام قطوس، سيمياء العنوان، ص: 32.
(2): ينظر: الهميسي محمود، براعة الاستهلال أو في صناعة العنوان، بحث مقدم إلى مؤتمر النقد الأدبي السادس، جامعة اليرموك15–17/1996، ونشر في الموقف الأدبي، العدد 313، السنة 27 أيار 1997.
(3): بسام قطوس، سيمياء العنوان، ص: 06.
(4): المرجع نفسه، ص: 06.
(5): عبد القادر رحيم، سيمياء العنوان في شعر مصطفى محمد الغماري، مذكر مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري، 2004/ 2005، إشراف د، صالح مفقودة، جامع محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص: 24.
(6): محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط1، 1998، ص: 15.
(7): جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، نقلا عن مجلة عالم الفكر، ج1، ع3 ،أفريل 1981، ص 96.

وهكذا تبرز القيمة الشعرية للعنوان منذ اعتباره نصا صغيرا يمدنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته، وهنا نقول إنه يقدم لنا معرفة كبرى لضبط انسجام النص، وفهم ما غمض منه [1]، فتكون بذلك الأبعاد الفنية والشعرية للنص إنما هي امتداد لما يندرج بين مفرداته من معان وأفكار، وكأنه يعد "مصباحا يضيء المناطق المعتمة في القصيدة"[2] التي يصعب فهمها إلا بالرجوع إلى العنوان، وعلى هذا فالعنوان يعد أصلا والنص فرع.[3]

ومن هنا يجدر بنا أن نتطرق إلى مختلف آراء الكتاب والنقاد حول مفهوم العنوان على اعتباره يملك قيمة لا يستهان بها في خدمة النص؛ لما ينطوي عليه من أسرار وخفايا تنفجر دلالات فتيلها أشعله قارئ مستفز.

يرى بسام قطوس أن العنوان نظام سيميائي ذو أبعاد دلالية ورمزية وأيقونية ...، وهو كالنص أفق قد يصغر عن الصعود إلى القارئ، وقد يتعالى هو عن النزول إليه [4] ومن هنا كان العنوان ضرورة ضرورة إلزامية تفرض نفسها على القارئ ليصبح جديرا به أن يقف عندها على اعتبارها "أول عتبة يمكن أن يطأها الباحث السيميائي قصد استنطاقها واستقرائها بصريا، ولسانيا، وأفقيا وعموديا" [5] ليتمكن من الولوج إلى أعماق النص، ويعرفه ليوهوك LEOHOEK بقوله: "العنوان مجموع اللسانية (كلمات، مفردة، جمل ...) التي يمكن أن تدرج على رأس كل نص لتحدده، وتدل على محتواه العام، وتغري الجمهور المقصود" [6]؛ لأنه يعتبر فرصة قرائية متأنية تفتح باب الأفق التخيلي للنص على اعتبار أنه علامة تعترض مخيلة القارئ [7] ليتمكن من ملامسة مكنونات النص، لأنه "يقوم على تركيب نصي يعد مفتاحا منتجا ذا دلالة ليس على مستوى البناء الخارجي للعمل فقط، بل يمتد إلى البنى العميقة، ويستفز فواصله، ويدفع السلطة الثلاثية (المبدع، النص، المتلقي) إلى إعادة إنتاج تتيح لعوامل النص الانفتاح على أكثر من قراءة" [8] حسب مقررة القارئ على استفزازه واستجلاء معانيه؛ معانيه؛ لأن العنوان ينفتح على أكثر من قراءة، وذلك من خلال المعنى الذي يختزله، فهو يحمل ما لا

([1]): محمد مفتاح، دينامية النص، تنظير وانجاز، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1990، ص: 72.
([2]): عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في النقد الشعري العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2000، ص: 291.
([3]): عبد القادر رحيم، سيمياء العنوان في شعر محمد الغماري، ص: 23.
([4]): ينظر: بسام قطوس، سيمياء العنوان، ص: 06.
([5]): جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، 1997، ص: 97.
[6] : Leo H. Hock : La marque du titre dispositifs ilimiotique d’une pratique textuelle, Mouton Publishes , the hargue, paris New York, 1981, P : 05.
([7]): ينظر: حليمة قطاي، استراتيجية العنوان في الكتاب النقدي الحديث، ص: 33.
([8]): إبراهيم بادي، دلالة العنوان وأبعاده في موتة الرجل الأخير، مجلة المدى ع1 26 ، 1999، سوريا، ص: 114.

يحمله النص أحيانا إذ "يقول العنوان ما لا يقول النص من خلال سلطته الدلالية التي تعد انفجارية إذا ما استفزت قرائيا" [1] فهو بذلك "رسالة لغوية تُعرّف بهوية النص، وتحدد مضمونه، وتجذب القارئ إليه، وتغويه به" [2] انطلاقا من "الرؤية الأولى للكتاب" [3] لأن حامل الكتاب يشد بصره لأول وهلة عنوانه على صفحته الأولى، ذلك لأنه يمثل "أعلى اقتصاد لغوي ممكن، يفرض أعلى فعالية تلق ممكنة مما يدفع إلى استثمار منجزات التأويل" [4] واستغلالها في قراءة النص على اعتباره "السلطة العليا التي تحكم كل التآويل" [5] والتي يسيرها العنوان؛ لأنه يمثل الدلالة الكلية التي "تنطوي على أبعاد عميقة تحوي معاني شاملة، وهو الكلمات التي تختصر التفاصيل وتجمع الأشتات وهو البداية والنهاية والجوهر الذي تدور في مداره عناصر القصيدة". [6]

فالعنوان إذن هو الأساس الذي تدور حوله أنظار القارئ، فيؤول ويفسر حسب معطيات هذا النص الصغير، أما إذا كان هذا الأخير مراوغا، فيضطر القارئ حينها إلى الولوج في قلب النص ليستشف معانيه الخفية متكئا على مخزونه الثقافي، وبذلك تبرز العلاقة بين العنوان والنص متينة لأن "العنوان مرتبط ارتباطا عضويا بالنص الذي يعنونه، فيكمله ولا يختلف معه ويعكسه بأمانة ودقة" [7] وما وضع على رأس النص إلا ليعرفه، ويكون بطاقته الفنية" [8] لذلك فالعنوان بحاجة إلى أكثر من قراءة لفهم أسرار النص؛ لأنه يعتبر محورا لولبيا تدور حوله معاني القصيدة، فجون كهين يعتبر العنوان مقاربة نصية تحت اسم "المقاربة العنوانية" لأن العنوان بمفرده يمكن من خلاله تفكيك النص إلى بنياته الصغرى والكبرى؛ قصد إعادة تركيبه من جديد نحوا وتداولا من الأسفل إلى الأعلى، ومن الأعلى إلى الأسفل، من الداخل إلى الخارج ومن الخارج إلى الداخل [9].

([1]): حليمة قطاي، إستراتيجية العنوان في الكتاب النقدي القديم، ص: 46.
([2]): محمد الهادي المطوي، شعرية عنوان الساق على الساق فيما هو الفارياق، مجلة عالم الفكر،ع3، يناير/مارس، 1997، ص: 15.
([3]): عبد الحميد هيمة، علامات في الإبداع الجزائري، مديرية الثقافة ولجنة الحفلات، سطيف، الجزائر، ط1، 2000، ص: 64.
([4]): بسام قطوس، سيمياء العنوان، ص: 36.
([5]): حليمة قطاي، إستراتيجية العنوان في الكتاب النقدي القديم،ص: 27.
([6]): إبراهيم رماني، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، باتنة، ط1، 1985، ص: 186.
([7]): عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط1، 1975، ص: 277.
([8]): ينظر: عبد القادر رحيم، سيميائية العنوان في شعر مصطفى محمد الغماري، ص: 25.
([9]): أبو عباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف، بيروت، ص: 51.

ومن خلال كل التعاريف السابقة نلحظ أن العنوان له علاقة وطيدة بالنص لكونه يحمل أسرار النص بين ثناياه، فمعظم التعاريف انبثقت من وظيفة العنوان وما يلعبه من دور جليل في تيسير الولوج إلى خفايا النص، فتبرز القيمة الفنية للعنوان.

ونخلص إلى أن للعنوان قيمة كبرى في تغطية مضمون النص، كما أنه عنصر جاذب للقارئ لأنه يدفعه إلى قراءة النص لأنه "علامة لغوية تعلو النص لتسمه وتحدده، وتغري القارئ بقراءته، فلولا العناوين لظلت كثير من الكتب مكدسة في رفوف المكاتب، فكم من كتاب كان عنوانه سببا في ذيوعه وانتشاره، وشهرة صاحبه، وكم من كتاب كان عنوانه وبالا عليه وعلى صاحبه" [1] الذي ربما ربما أخطأ في اختياره أو أنه لم يحسن شحن مفرداته بما يحمله النص من معان وقيم.

([1]): عبد القادر رحيم، سيميائية العنوان في شعر مصطفى محمد الغماري، ص: 26.

ثانيــــا: السيـــــرة

- تمهيد:

إننا أمام شاعر يسري حب الوطن في دمائه كما تسري المياه في الوديان، سخر نفسه خدمة للوطن بالكلمة الصادقة أثناء الاحتلال أو بعد الاستقلال، ومازال يقدم تضحيات جسام من على منبر الجامعة الجزائرية في محو الظلام، وتنوير عقول الشباب في غرس حب الوطن، مدركا أن تطور الجزائر والتضحية في سبيلها شرف لا يناله إلا العظماء، فكان لكلمته صوت مسموع في مضمار الحروب والمحن، وكان شعره حضنا للآلام ووعاء للأفراح، وكان سيطه يدوي في آذان كل غيور على الوطن، فواكب مسيرة شعبه في صراعه الدائم من أجل إثبات الذات، وفي كفاحه المستمر من أجل نصرة الخير، بل في كل قضاياه الجوهرية...قضايا ثورته وتمرده وقوته وضعفه وفرحه وحزنه ... لأنه كان مدركا أن الأديب هو العدو الألد للمستعمر، يفسد عليه خططه ومشاريعه كما يفضح نواياه [1] لأن أحدا لم يعد يجهل ما تحمله الكلمة الشاعرة من رؤى وتصورات مختلفة، وما تنطوي عليه من شحنات عاطفية متدفقة، ومن قيم فنية وجمالية سامية [2]، فأصبح الكل يدرك أن "الشاعر هو وجدان الأمة وعقلها المفكر ولسانها الناطق وضميرها الحي وقلبها الخافق" [3].

فكان بذلك شاعرا مترويا يُرَوّض الكلمة ويدرك معناها جيدا قبل أن ينسجها في قالب شعري.

([1]): ينظر: عبد الكريم شيرو، التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في الأدب العربي جامعة الحاج لخضرباتنة، 2007/2006، ص 48.
([2]): ينظر: أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيدة "تأملات وخواطر حول الشعر"، ص: 11.
([3]): المرجع نفسه، ص: 11.

لمحة عن حياة الشاعر:

أ/ مولده:

في صيف شديد الحرارة أبصر أديبنا النور في قرية (البدوع) [1] بجوار مدينة قمار [2] بوادي سوف سنة ترميم الجامع الكبير 1930[3] -كما يؤكد ذلك في سيرته- بين أحضان أسرة محافظة تعمل في زراعة التبغ* وإنتاج التمور وتذكر أن وقت ميلاده كانوا لا يفترشون سوى الرمال الذهبية، ولا تظلهم سوى سقائف من جريد النخيل، فكان فراشه الأرض، وغطاؤه السماء، كبقية عائلات سوف.

ب/ تعلمه:

دخل جامع (البدوع) عندما بلغ سن الخامسة من العمر، فحفظ القرآن وتلقى بعض مبادئ العلوم الشرعية، وفي سنة 1947 شد الرحال إلى جامع الزيتونة بتونس أين حصل على شهادة الأهلية سنة 1951م، ثم شهادة التحصيل سنة 1954م، محتلا المرتبة الثانية في دفعته [4].

وبعد عودته إلى أرض الوطن اشتغل بممارسة التعليم سنة 1954 في مدرسة (الثبات) بمدينة الحراش تحت إدارة الشهيد الربيع بوشامة، وفي ربيع 1955 انتقل للتعليم في مدرسة التهذيب بعين الباردة "ولاية سطيف" حاليا وفي "تشرين الأول أكتوبر 1955" انتقل إلى القاهرة بمساعدة من جمعية العلماء المسلمين تحت شعار السفر إلى الحج" [5] وانتسب إلى كلية دار العلوم، جامعة القاهرة سنة 1959، وتحصل منها على شهادة: الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية [6] ويؤكد ذلك الشيخ البشير الإبراهيمي -رحمه الله- في تصديره لكتاب أبي القاسم سعد الله شاعر الجزائر "محمد العيد آل خليفة" قائلا: "كانت هذه الدراسة لأبي القاسم سعد الله أحد أبناء الجزائر البررة الناشئين في ظل نهضتها الحاضرة، تلقى العلم بجامع الزيتونة، ثم رحل إلى مصر ضمن البعثات التي اتفقت عنها النهضة

([1]): تبعد عن مدينة قمار بحوالي 04 كلم.
([2]): تبعد عن مدينة الوادي بحوالي 15 كلم.
([3]): جمال الدين الألوسي، الجزائر بلد المليون شهيد، وزارة الثقافة والإعلام، مطبعة الجمهورية بغداد، 1970، ص 227.
*: هذا ما يشير إليه في "مرارة التبغ" ،ينظر: أبو القاسم سعد الله " سعفة خضراء"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 43.
([4]): عبد الكريم بوصفصاف، المسيرة العلمية والسيرة الذاتية لأبي القاسم سعد الله، ص: 05.
([5]): المرجع نفسه، ص: 5-6.
([6]): أبوا القاسم سعد الله، السيرة الذاتية والعلمية belk.27@yahoo.com، نقلا عن عبد السلام ضيف، الكتابة الأدبية عند أبي القاسم سعد الله، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجاح لخضر، 2005/2004 ، ص: 11.

العربية، وأكمل تعليمه في دار العلوم إلى أن حصل على شهادة الليسانس في الأدب العربي" [1] وفي سنة 1960 حصل منها على سنة أولى ماجستير في النقد الأدبي، وفي أواخر نفس السنة سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في بعثة وانتسب إلى جامعة منيسوتة MINNESOTA التي حصل منها على شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1962، كما حصل منها على شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر باللغة الإنجليزية سنة 1965.[2]

ومارس التعليم سنتين في جامعة **ويسكنسن بأوكلير** ، ثم التحق في خريف 1967 بجامعة الجزائر، وشارك في النهضة الثقافية والأدبية والفكرية في الجزائر والبلدان العربية، كما شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات والملتقيات، ما ساعده على أن يصبح عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1989، وعضوا في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1990، وعضوا للمجلس الوطني للبحث العلمي سنة 1992 بالجزائر، وعضوا بمجلس البحث العلمي لجامعة آل بيت الأردني سنة 1998، وعضوا للجنة العلمية للكتاب المرجعي لتاريخ الأمة العربية تحت إشراف "الأليسكو" ALESCSO المنظمة العربية للثقافة التابعة لجامعة الدول العربية [3]، كما درس العديد من اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية، ومبادئ الإسبانية، ويؤكد ذلك بقوله: "إن إتقاني لعدة لغات أجنبية قد سهل علي الإطلاع على آثارنا التي اعتنى بها الأجانب" [4] ولا يزال ينشط في مختلف ميادين الفكر، حفظه الله، وأطال في عمره وجعله فخرا لبلاده طول الحياة.

ج/ ثقافته:

إن أول خطوة جادة خطاها أديبنا في مشوار ثقافته كانت حفظه لكتاب الله العزيز الحكيم، في مسقط رأسه بقرية (البدوع)؛ لأن البيئة التي نشأ فيها كانت متشبعة بالروح العربية السلامية، حيث "نشأ في بيئة قاسية مشاركا والده في فلاحة الأرض والعناية بالنخيل واستنبات بعض الخضروات والبقول، وقراءة القرآن وحفظ المتون والمصنفات في الشعر والصرف والفقه والعقائد".[5]

---

(1): محمد البشير الإبراهيمي، تصدير أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، الجزائر، 1984، ص9، نقلا عن عبد السلام ضيف، الكتابة الأدبية عند أبي القاسم سعد الله، ص: 11.

(2): عبد الكريم بوصفصاف، المسيرة العلمية والسيرة الذاتية لأبي القاسم سعد الله، ص: 6.

(3): ناصر الدين سعيدوني، دراسات وشهادات، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000، ص: 21.

(4): أبو القاسم سعد الله، منطلقات فكرية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1976، ص: 45.

(5): محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة دار هومة، الجزائر، الجزء الثالث، ص: 11- 12.

وفي هذه البيئة الصحراوية بدأ قرض الشعر يقول: "بدأ اهتمامي بالشعر والقصة في وقت مبكر، ثم تغلب عندي الشعر على القصة" [1] ثم انتقل إلى بيئة مشابهة وهي منطقة الجريد التونسي، حيث بدأت ثقافته تنضج نظرا للمنافسة العلمية بينه وبين زملائه حيث يقول: "أذكر أن شابا تونسيا كان يجلس إلى جانبي في حلقة الدرس، وهو ابن حميدة، وكان ينافسني في مادة الأدب إلى حد بعيد ..."[2] وقد كان لهذه المنافسات الجادة أثرها البالغ في تكوين ثقافة سعد الله خاصة من خلال تشجيع مشايخه له وافتخارهم به، حيث قال شيخه علي الأصرم: "إنني فخور بك يا سعد" [3]، فبدأت ثقافة سعد الله تتكون شيئا فشيئا، وبدأت ملكته الشعرية تبرز محاولا من خلالها أن يظهر تفوقه على زملائه، وكان ذلك تحديا له لمواصلة قراءة الشعر والإبداع فيه، مما فسح له المجال لأن "يفتح عينيه على العوالم الواسعة في الزيتونة والقاهرة والولايات المتحدة الأمريكية" [4] وبذلك استطاع أن يُكَوّن ثقافة متميزة نتيجة لتضافر عدة عوامل ذكرها الكاتب نفسه قائلا: "إن هناك ثلاث اتجاهات قد أثرت في حياتي أثناء دراستي بتونس:

– **الأول**: التربية الدينية والأخلاقية التي تلقيتها بالزيتونة.

– **الثاني**: التربية الوطنية التي اكتسبتها:

أ/ عن طريق مشاركتي في نشاط جمعية الطلبة الجزائريين منذ 1948.

ب/ عن طريق اشتراكي سنة 1953 مع الطلبة الجزائريين في تمثيل رواية "الخليفة العادل" في عدة مدن بالجزائر.

ج/ عن طريق قراءاتي "للبصائر" التي اشترك فيها والدي من 1948.

– **الثالث**: التربية الأدبية التي حصلت عليها بفضل مطالعتي لإنتاج الشرق العربي [5].

([1]): أبوا القاسم سعد الله، سعفة خضراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص: 3.
([2]): أبوا القاسم سعد الله، أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، و ط ، 1988، ص: 182.
([3]): المصدر نفسه، ص: 182.
([4]): عبد السلام ضيف، الكتابة الأدبية عند أبي القاسم سعد الله، ص: 12.
([5]): أبوا القاسم سعد الله، منطلقات فكرية، ص: 13.

كلها عوامل ساعدت على تنمية ثقافته الأدبية وسلوكه للمنحى الرومانسي في شعره، بالإضافة إلى حبه الشديد للانطواء والخلوة، حيث كان يقصد جبلا يسمى الرابطة يطل على تونس، ويمكث هناك لساعات طويلة يطالع ويتأمل جمال الطبيعة ويستمع إلى زقزقة العصافير وحفيف الأشجار وخرير المياه...

ولعل ما عَمّق ثقافته تخصصه في التاريخ الأوروبي الحديث الذي اقتضى منه أن يتقن كلا من الفرنسية والألمانية فضلا عن اللغة الإنجليزية [1].

كما انكبَّ على شعر المتنبي فحفظ معظم قصائده، وقرأ للشابي وجبران خليل جبران كل كتبه، وكان مولعا بالشعر المهجري وشعر مدرسة أبولو خاصة شعر أحمد زكي أبو شادي ومصطفى صادق الرافعي، دون أن نهمل "إطلاعه على تاريخ أوروبا وتاريخ الشعوب الأخرى ولا سيما القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية، وثورات الأقليات ونضالهم وتراثهم" [2].

كل تلك العوامل لعبت دورا كبيرا في تكوين أفقه الثقافي، وما زاد في توسعه الثقافي هو تلك "الرحلات الداخلية والخارجية" [3] والتي جعلته يعيش الواقع بعينيه، إلى جانب ذلك لعبت مجلة (الآداب) البيروتية دورها الكبير، وتركت أثرها البالغ على تجربة سعد الله الثقافية والشعرية، كما كان (لرابطة القلم الجديدة)[4] بصماتها الواضحة في توجيه ثقافة سعد الله الأدبية وجهة صائبة.

وعند قيام الثورة التحريرية سنة 1954 انقطع عن النشاط الأدبي بسبب ظروف الجزائر السياسية آنذاك غير أن "علاقته بالشعر الحر والعمودي لم تنقطع وظلت وثيقة، فقد نظم ونشر بعض قصائده"[5] مثل (طريقي) [6]، وأنشودة (المزارع والحقول) [7]، وقد زادت علاقته بالشعر الحر توثقا وارتباطا دراسته بالقاهرة سنة 1955 وذلك من خلال تلك الندوات والمهرجانات الأدبية التي كانت

---

(1): المصدر نفسه، ص: 50.
(2): المصدر نفسه، ص: 61.
(3): أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص: 6.
(4): نظمت مجموعة من الأدباء الشبان، معظمهم تونسيون ومعهم بعض الجزائريين ومنهم سعد الله والشاذلي زوكار وابن حميدة ومنور صمادح ... وليس لهذه الرابطة قانون أساسي ولا مقر يجتمعون فيه مما اضطرهم للاجتماع –أحيانا– في المقاهي أو في الهواء الطلق، ينظر: أبوا القاسم سعد الله، أفكار جامحة، ص: 185– 186.
(5): عبد الكريم شيرو، التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، ص: 51.
(6):نشرت في 15 مارس 1955 بالأبيار.
(7):نشرت في 28 مارس 1955 بالأبيار.

تقام بمصر، ما جعله يتعرف على الكثير من الشعراء المصريين أمثال أحمد عبد المعطي حجازي وفاروق شوشة، كما تعرف على بعض نقادها كرجاء النقاش وغالي شكري ومحمود أمين العالم [1].

وفي الواقع فإن شخصية شاعرنا وأديبنا أبي القاسم سعد الله واضحة كل الوضوح في جميع دواوينه الشعرية، ولا غرابة في ذلك لأن "الشعر هو الذي يمتد سلطانه فيشمل الحياة بأسرها بل وما بعد الحياة"[2] إنه وعاء الحكمة ومستودع التجربة وصدى الفكر والوجدان [3]. فتنعكس شخصيته وتنصب ثقافته وأفكاره تحت ثنايا أشعاره، ويبدو ذلك جليا في قوله في "ديوان الزمن الأخضر" "يعبر هذا الشعر عن زمانين أخضرين: عهد شبابي وعهد الثورة التي هي شباب الجزائر.. وهكذا انصهرت في هذا الشعر عاطفتان شابتان مشبوبتان لا تكادان تنفصلان: العاطفة الذاتية والعاطفة الوطنية" [4]

لقد نضجت خبرته في الشعر نتيجة للظروف والأحداث السياسية والتطورات الاجتماعية التي عايشها وتفاعل معها بصدق، واستطاع أن ينسج أحداثها في قالب فني وفق قناعته، وقد كان لجامع الزيتونة الأثر البالغ في تكوين فكره، كما يوضح ذلك أحد زملائه: "إن فضل الزيتونة علينا جميعا كان كبيرا فقد أروت نفوسنا المتعطشة إلى العلم والمعرفة فوجدنا فيها ما حرمنا منه في وطننا، وجدنا العربية وآدابها وعلومها هي محور ما يدرسه الطلبة فيها، كما وجدنا العناية بدراسة علوم الدين والشريعة وأصولها هي قاسم مشترك بين من ضمتهم جدرانها" [5].

لقد اجتمعت معظم هذه الظروف عند أبي القاسم سعد الله داخليا وخارجيا، فشكلت منه شخصية متزنة، وعمقت تجربته الشعرية، وزادت من ثقافته الأدبية، دون أن ننسى جمعية العلماء المسلمين التي كانت سندا كبيرا في مسيرته العلمية، وفي إبراز شخصيته الثقافية من خلال تلك البعثات التي قدمتها له إلى خارج الوطن، فجاءت شخصيته "شخصية متفردة في الفكر الجزائري الحديث" [6] فذاع سيطه وانتشرت ثقافته لتغذي العقول بما تشبعت من تجارب الحياة، وما استوعبت من خلال مدارس البعثات، وما استخلصت من متعة الرحلات.

([1]): هو الذي كتب له مقدمة ديوانه(أغاني الجزائر) سنة 1993، ولكن الديوان لم يطبع بعد.
([2]): محمد زكي العشماوي، الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد، دار النهضة المعاصرة للطباعة والنشر، بيروت، ت، ص: 151.
([3]): محمد مصطفى هدارة،بحوث في الأدب العربي الحديث،الشابي بين الحقيقة والخيال، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط 1، 1994، ص: 120.
([4]): أبوا القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 07.
([5]): عبد الله ركيبي، ناصر الدين سعيدوني، دراسات وشهادات، عبد السلام ضيف، الكتابة الأدبية عند أبي القاسم سعد الله، ص: 15.
([6]): عبد السلام ضيف، الكتاب الأدبية عند أبي القاسم سعد الله، ص: 16.

د/ نشاطاته:

بدأ نشر بعض قصائده في جريدة (النهضة) و(الأسبوع) خلال تواجده في تونس، كما نشر أيضا في (البصائر) الجزائرية و(الآداب) اللبنانية، كما ساهم منذ حوالي 1948 في نشاط الطلبة الجزائريين بتونس، وإنشاء (رابطة القلم الجديد)، كما شارك منذ سنة 1956 بالقاهرة في نشاط اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، الذي كانت تشرف عليه مصالح جبهة التحرير الوطني كعضو وكمسئول، دون أن ننسى أثر الثورة التحريرية في هذه الفترة، ونشاطه البارز في معايشتها، ودوره البارز في نشر الوعي، وهذا ما يبينه الكاتب حينما سئل عن أسباب انتقاله من الأدب إلى التاريخ قائلا: "حقا أنني بدأت بكتابة الشعر خصوصا الذاتي والاجتماعي والوطني منه، ولكن أحداث الثورة الجزائرية التي صادفت لحظات النضج الفكري عندي قادتني إلى دراسة ماضي الجزائر، ثم قادني الإطلاع إلى التعبير بالنشر، فكانت تلك الأبحاث والدراسات الأدبية التي نشرتها في الصحف بالمشرق العربي والتي جمعتها في كتابي دراسات في الأدب الجزائري الحديث، كما وضعت كتابا عن "محمد العيد آل خليفة" فالانتقال كان عندي أولا من الشعر إلى الدراسات الثقافية والتاريخية" [1] وهذا ما يبرز التأثر الواضح بالثورة التحريرية وكرهه الكبير للاستعمار، فقد كتب مقالة في سنة 1954 تحت عنوان "أرض الملاحم" أما في الولايات المتحدة فقد كان ضمن فرع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، كما انضم إلى منظمة الطلبة العرب بأمريكا وكندا، وقد ترجم من الأعمال الأدبية والفكرية والتاريخية ما تشهد له به المكتبات العربية سواء في الجزائر أو في الأقطار العربية، وقد تفرغ مؤخرا للبحث والدراسة في التاريخ الجزائري، وهكذا يدخل الحياة أديبا لينتهي به الأمر مؤرخا" [2] وفي جميع الحالات ساهم -ولا يزال- يساهم في إثراء المكتبة الجزائرية وتنوير عقول الشباب ونشر الوعي في ربوع الوطن.

(1): أحمد فرحات، أصوات ثقافية من المغرب العربي، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، د. ت، ص40 نقلا عن عبد السلام ضيف، الكتابة الأدبية عند أبي القاسم سعد الله، ص: 17.
(2): ناصر الدين سعيدوني، دراسات وشهادات، ص: 499.

هــ/ مؤلفاته:

بالإضافة إلى تدريسه في الجامعة وإشرافه على البحوث في معهد العلوم الاجتماعية بجامعة باتنة، فإن مؤلفاته ثرية ومتنوعة نذكر منها:

1/ في الأدب:

- ثائر وحب (شعر) 1977.
- حكاية العشاق في الحب والاشتياق رواية (تحقيق) 1983.
- محمد العيد آل خليفة، رائد الشعر الجزائري الحديث 1984.
- تجارب في الأدب والرحلة 1984.
- دراسات في الأدب الجزائري الحديث 1985.
- الزمن الأخضر (ديوان) 1985.
- القاضي الأديب: الشاذلي القسنطيني 1985.
- سعفة خضراء (قصص) 1986.
- النصر للجزائر (شعر)1986.
- أشعار جزائرية (تحقيق) 1988.

2/ في التاريخ:

- محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال) 1982.
- حياة الأمير عبد القادر (ترجمة كتاب تشرشل عنه) 1982.
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (الجزء الأول) 1982.
- الحركة الوطنية الجزائرية (الجزء الثاني) 1983.
- شعوب وقوميات 1985.
- الحركة الوطنية الجزائرية (الجزء الثالث) 1986.
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (الجزء الثاني) 1986.
- الجزائر وأوروبا (ترجمة كتاب جون وولف) 1986.

-أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (الجزء الثالث) 1988.
-تاريخ الجزائر الثقافي 1988.
-تاريخ العدواني (تحقيق) 1989.
-الحركة الوطنية الجزائرية (الجزء الأول) 1989.

3/ دراسات وأبحاث عامة:

- منطلقات فكرية 1982.
-الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري (دراسة) 1982.
-رحلة ابن حمادوش الجزائري: لسان المقال (تحقيق) 1983.
-المفتي الجزائري: ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي 1985.
- شيخ الإسلام: عبد الكريم الفكون 1986.
- منشورات الهداية في كشف حال من ادعى المعلم والولاية، لعبد الكريم الفكون (تحقيق) 1987.
-أفكار جامحة 1988.
-قضايا شائكة 1989.

وهكذا ساهم أديبنا وشاعرنا في إثراء المكتبة العربية ولا يزال ينتج ويعمل على نشر الخير والحب والجمال.

- **تمهيد:**

لقد كان الشعر ومازال سلاح الفنان الذي يجد فيه متنفسه، فيصب مكنوناته ويدافع عن وجوده ليبرز قيمته الإنسانية التي يواجه بها نفسه وغيره، لأنه يمثل موقفا شموليا من الحياة وقضايا الإنسان، وثورة ضد كل ماهو سيء في الكون.

والإنسان في حقيقته يبحث دائما عن غد أفضل، فقد يعبر الشاعر عن إحساسات ومشاعر فردية عايشها بصدق، فأفرزت معاناته الخاصة لمشكلات الحياة، وقد يخلع عليها الثوب الجميل الذي يراه منسجما مع هذه المعاناة، لكنها تبقى في نفس الوقت تعبر عن مشاعر وأحاسيس الغير لأن مشاكله قد تكون هي نفسها مشاكل الغير [1].

والشعر الذي لا يعكس تجربة معينة عاشها الشاعر وتأثر بها ثم نقلها لنا في صورة فنية –في الحقيقة– يعتبر جامدا ليس فيه حياة، بل هو شعر ميت، بل إن الشاعر الفنان يتعدى ذلك ليمتد إلى وطنه وأمته؛ لأنه يعتبر وجدان الأمة وعقلها المفكر ولسانها الناطق وضميرها الحي وقلبها الخافق [2] الذي يحس بآلامها ويفرح لأفراحها فيعكس فرحته في قالب فني يزيده بهاء حينما يسمه بعنوان على اعتبار أن هذا الأخير سمة جمالية تميز الشعر بشتى مجالاته، إذ صار العنوان ضروريا وهاما ومكملا للقصيدة، فلا يمكن أن نتخيل قصيدة بدون عنوان [3]؛ لأنه في الأصل يمثل لولبا تدور حوله معاني القصيدة، فهو يستفز القارئ ويوقظ فيه آلية القراءة؛ ولذلك" نجد الكثير من المبدعين يولون أهمية قصوى لعناوينهم تماما كاهتمامهم بالعمل ذاته" [4]، لأنهم يدركون قيمته الفنية في تصوير إبداعاتهم الشعرية، ولذلك نجد "إيميل زولا الكاتب الفرنسي المشهور وضع أكثر من مائة وثلاثين عنوانا لإحدى رواياته ليختار واحدا منها تبين له أنه هو الأحسن" [5]، ومن هنا نلمس قيمة العنوان، وندرك جماليته ونتفق مع ليوهوك حين قال أن: "للعنوان في الشعر خطابا خالقا للجمال esthétisant يجعل

([1]) : ينظر: أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيد (تأملات وخواطر في الشعر)، ص:24.
([2]) : ينظر: المرجع نفسه، ص:11.
([3]) : نسيمة بن عباس، إستراتيجية العنونة عند محمود درويش مقاربة سيميائية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2001، 2002، ص: أ.
([4]) : المرجع نفسه، ص: أ.
[5]: Gérard Genette. Sewits édition du sewil Paris 1987. P : 64. نقلا عن المرجع نفسه، ص: أ

المعايير والقيم المتمضهرة في النص مجانية واعتباطية ومحاثية لأنها محكومة بقانون جمالية يبعد الحقيقة" [1] إذا لم يحسن القارئ استقراءه و لم يتقن الوصول إلى مفاتيح أسراره.

ولذلك سنحاول توخي الحذر في دراسة عناوين ديوان "الزمن الأخضر" بشتى مدلولاتها وما تعكسه في النص من قيم جمالية وفنية، محاولين استنطاقها واستفزازها راسمين لها مجالا أوسع لتنطق بمكنوناتها، محاولين التركيز على العنوان الرئيسي للديوان أو "الزمن الأخضر" ودلالاته مبينين علاقته بمختلف عناوين الديوان على اعتباره الأساس الذي تدور حوله مختلف عناوين الديوان بكل أبعادها ومدلولاتها، وما تحمله من انعكاس للزمن الأخضر الذي هو روح الديوان.

([1]) : رشيد يحياوي، الشعر العربي الحديث دراسة في المنجز النصي إفريقيا الشروق، د.ط،1998، ص: 114

- أولا: الدلالات الأولية للزمن الأخضر:

الزمن الأخضر: جملة اسمية يرتبط المبتدأ فيها بالمسند إليه برابطة إسنادية لفظية، أو هي تلك الجمل التي تخلو من الفعل [1]، وجاءت لفظة الزمن خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هو، "هو الزمن الأخضر"، وهذا الخبر جاء موصوفا بالصفة المعرفة "الأخضر"، وبهذا فإن المطابقة بين المسند والمسند إليه متحققة في الحالة الإعرابية وهي الرفع [2].

ومن هنا فالجملة "الزمن الأخضر" لها دلالة إيحائية وهي الرفع والقوة، وعدم الانهزام، أو الضعف، وهو زمن ثابت مستقر في ذهن الشاعر، الذي يملك هدوء المبصرين العقلاء، وهذا اللون لا تكمن أهميته في كميته الخارجية التي توحي بالينوعة والإخضرار، وجمال الحياة، وإنما زيادة على ذلك، في الدلالة التي تكمن في قدرة هذه الدلالة على إثارة المشاعر والانفعالات، وطاقات البقاء، وبذلك فالزمن ارتبط باللون الأخضر، وله علاقة بالطبيعة الحية في كل وجدان وهي التي يعيشها كل جزائري يرنو إلى الحرية والاستقلال وبخاصة أن العنوان كان وليد الستين بعد الألف أي قبيل الاستقلال.

والزمن كما يقول المثاليون لا يؤدي إلا إلى الله، لأن المستقبل هبة من الله إذ هو الذي يسمح بوجوده[3]، ولذلك يوحي هذا العنوان بأن المستقبل سيكون زاهرا، ومن جهة أخرى فهو يشي بأن كل حاضر هو لم يمض بعد و لم ينتقل إلى التاريخ، أي إنه فرصة للاختيار بفعل قررته إرادة الخالق [4]، وإذا كان الأمر كذلك فإننا بهذا الزمن نصنع أنفسنا ونوجدها، ونحررها من رقبة الذل والهوان، فالأخضر هو الحرية بالمفهوم الحياتي، ومن جهة أخرى، فإن الزمن له علاقة كبيرة بمفهوم المكان مما يلون الجزائر بالأخضر ويعطيها قوة المقاومة والنمو، وهذا ما ذهب إليه برغسون Brigson في تعريفه لماهية الزمن وصلته بالمكان، وفي تميزه بين الزمن الرياضي العام الذي يقبل القياس، والزمن الذاتي الداخلي الذي يحدد علاقة الإنسان بالزمن عامة، بحيث يموت مفهوم الزمن ويذوب في مفهوم المكان، أي إن إدراك الزمن قبل كل شيء يكون من خلال المكان اللازم لوجوده لا من خلال معنى الزمن الذي يتضمنه التوالي نفسه [5].

---

(1): ينظر: محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1988، ص: 89.
(2): ينظر: المرجع نفسه، ص: 96.
(3): ينظر: عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالته، الدار العربية للكتاب، ليبيا،1988، ص: 13.
(4): ينظر: المرجع نفسه، ص: 14- 15.
(5): ينظر: المرجع نفسه، ص: 16.

ويعود هذا إلى أن الشاعر أبا القاسم سعد الله، استلهم عنوانه من موجودات بيئته التي تعلق بها وعشقها، حيث نشأت رابطة روحية بينه وبين مكوناتها، كما نشأت علاقة روحية أيضا بينه وبين هذا اللون الجميل لما فيه من إيحاء، وانسجام مع مضمون الديوان وفق رؤية التراث الإسلامي لهذا اللون، إضافة إلى ما يحمله من أضواء، وألوان وظلال ليعطي الإحساس بالوجود، والشباب والحيوية، ويناعة الثورة، وكل ذلك حوّل العنوان إلى رمز، وأداة فاعلة في العمل الأدبي فكان اللون قوته ووعاؤه الذي يحمل مشاعره، وأحاسيسه وانفعالاته وأطروحاته السياسية والثورية، لأن اللون قوة هائلة تدل على قدرة الشاعر لشاعرية العنوان، بوصفه -العنوان-، خاصية مميزة بقدرته على مد الشاعر بشتى الأدوات التعبيرية التي تحقق له مضمون النص، وكشف خباياه، وظواهره، لأن العنوان الهوية لا يحتاج إلى جهد للدخول إلى مضمون النص، فهو يدل عليه ويحمل تغيراته وثوابته، لأنه بمثابة الموجه الرئيسي للنص الشعري ...، أما النواة فتتمركز في وسط القصيدة، وهي بمثابة قلب الجسد، وهي الجملة الهدف، وما قبل البؤرة وبعدها، لا يوجد حشو يمكن الاستغناء عنه، بل نجعل ذلك سببا ونتيجة، والخاتمة هي نتيجة النص ونهايته [1].

ولذلك كانت هذه القصيدة هي أم الديوان، وجملة الديوان، فهي القصيدة الرئيسة في الديوان، وبها سمي الديوان، ولذا فإن العنوان عند السيميائيين يحيل إلى مرجعية النص، ويحتوي العمل الأدبي في كليته وعموميته، لأن العنوان بمثابة سؤال إشكالي بينما النص هو بمثابة إجابة عن هذا السؤال، وبقدر ما نعتبر العنوان علامة على كون سيميائي هو النص في حد ذاته، بقدر ما نعتبر النص إجابة على تساؤل العنوان، ونعتبره فوق كل ذلك مرجعا يحيل على مجموعة من العلامات التي تكون العلاقة بين أجزاء النص كمعنى [2].

وبالتالي فعنوان: "الزمن الأخضر" دال إشاري، وإحالي يُلَمِّح إلى تداخل النصوص، استنساخا، أو استلهاما أو تحاورا [3]، فهو يحيل على النصوص الأسطورية،والدينية، والسياسية، والاجتماعية، لأن هذا اللون له قيمته الأسطورية، وله أبعاده الدينية، كما نجد له أبعادا سياسية، إلا أننا لا يمكن لنا أن نفهم العنوان إلا من خلال مجموعة من العتبات التي تحدث عنها جيرار جينيت أو ما يسمى بالنص

(1): ينظر: جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، ص:79.
(2): ينظر المرجع السابق، ص:108.
(3): ينظر المرجع السابق، ص:108.

الموازي أيضا، لأنها تتكامل وتتلاقح من أجل توفير دلالة حقيقيه للنص، كشكل الخط والحجم، واسم المؤلف والناشر، وهي الأفكار التي طرحها جينيت Genette في كتابه عتبات (1).

لأن العنوان يجيد إسقاط التراثيات على مشاكل العصر، كما استطاع الشاعر تخصيب عنوانه من الذاكرة الشعبية، والدينية والأسطورية، وبذلك يغدو العنوان مزدحما بالصور والإشارات بل مشهدا بما تضمنه واشتمل عليه من شواظ التعبير حيث يصبح رمزا للأرض حين تتوحد بالإنسان والزمان والمكان، وتفيض بخيراتها على المشهد الإنساني عامة.

ويجيء صوت العنوان: "الزمن الأخضر" ليشمل كل شيء في حياة الشاعر، وأرض الشاعر، وتصور الشاعر، ورؤية الشاعر، فتتعالق الأبعاد، وتتناص الألوان، فإذا نحن أمام روح المقاومة، روح الرفض أي إنه فلسف المرحلة الزمنية ومنحها حلاوة اللون الأخضر، ولكن بالشهادة والإيمان، لأن الإنسان الجزائري هو صاحب الحق المشروع في الأرض، والحب والحياة، وهي الثلاثية التي تستوسد متن الديوان عنونة ومضمونا، مما يدل على أن الشاعر يكتب برؤية ولكن ليس دون جدوى.

وبهذا فهو يقدم لنا حدوسه، وشعوره ملموسا في حلم أخضر يتشكل بصريا وتخيليا، ورؤياويا، لأن لكل شاعر حياته ورؤيته التي يريد من خلالها ن ينهض بشعبه، وبالنفس البشرية عموما إلى صفاء سعيد، منشود مرغوب، محكوم به، ومكتوب بصداه.

ولعل اللجوء إلى هذا اللون فرضه الزمن الحالك، زمن الاستعمار، الزمن الداكن الذي لا يليق بروح الشعر، فكان عكسه هو الأخضر الذي يرمز إلى اللحظة الحية، اللحظة الحرة، مهما تعاون على هذا الوطن المهموم، إنه تجديد دم الشباب، وروح الثورة، وبث الأمل والإيمان بالحاضر المزدهر، لأن العنوان يقوم على الانفعال الوجداني بالتجربة أو الموقف والتعبير عن ذلك وفق انسياب أحاسيس الشاعر الذاتية والمشاعر والانفعالات العامة حول التجربة، ولذلك يتخير الشاعر عنوان نصه أو متنه الشعري، تعبيرا صورة ولونا، وظلالا ومعاني حسب الجو الشعري والعقائدي والحضاري، والثقافي، وحسب وعيه وما يمليه عليه ضميره الشعري مراعيا في ذلك التركيز، والتجديد وتجانس اللون والمعنى، والصور والمبنى، وتآلف الحروف والمفردات؛ لأن العنوان إحساس بالحياة، وتسليط لضوء فكري معين، وتجسيد لصورة مشرقة تتناول حركة الإنسان في شرائحها بنمو خاطف وعابر، وفي الوقت

(1): المرجع نفسه، ص: 109.

نفسه يكون "الزمن الأخضر" رؤية إنسانية عميقة، تحررية أصيلة، تتسم بالرؤى والانفعالات الجمالية والإنسانية، والسرحات الحياتية، مما يكشف لنا روح الشاعر الباحثة عن الجمال، عن الراحة الأبدية، الولهانة إلى الحرية، المنطلقة إلى الفجر الآتي، وبخاصة حين نحرر العنوان من مسامات التاريخ، فإذا به يوشي لنا بروح مدهشة، روح الانبعاث الحيوي الثوري، وكل ذلك لأن جدلية الزمن معضلة كونية بشرية تندرج في المفهوم الديني والمفهوم الفلسفي، والمفهوم الروحي.

والإنسان يوحي بالزمن، ولذا كان اللون أخضرا لا يوحي إلا بالنعيم والبهجة والسرور، ولذلك أصبحت المستشفيات تحرص على الألوان لما فيها من تأثير نفسي على المريض، فإذا دخلنا غرفة العمليات الجراحية فإننا نشاهد اللون الأخضر هو السائد على ثياب فرقة العمليات، لأنه يريح المريض ويريح البصر لأن المساحة البصرية له أصغر من المساحة البصرية لباقي الألوان، كما أن طول موجته وسطي فليست بالطويلة كاللون الأحمر وليست بالقصيرة كاللون الأزرق [1].

فالزمن الأخضر هو كل هذه الدلالات لأن العنوان باعتباره علامة دلالية ورمز لا يمكن فهمه إلا بفهم الظروف السياسية والدينية والاجتماعية للشاعر لأن "الشعر هو الذي يمتد سلطانه فيشمل الحياة بأسرها بل وما بعد الحياة، هو ذلك النهر الهادئ الذي يروي الحياة كلها [2] انطلاقا من أول عتبة نصية فيه، لأن العنوان يرتبط كثيرا بمضمون النص الشعري، فهو يساعد على البحث في قوانين النص، ووظائفه لإدراك ما يحكم النص من أبعاد جمالية، وكوامن وطاقات تواصلية أو إبلاغية [3] فهو المفتاح الذهبي إلى شفرات التشكيل أو الإشارة الأولى التي يرسلها المبدع إلى المتلقي [4].

وعلى العموم: فإن "الزمن الأخضر" كان حلما لم يتحقق في ذاكرة أبي القاسم سعد الله، لذلك غابت عنه المناسبة وغابت نهاية القصيدة التي لم تكتمل بعد كما يقول: "بداية القصيدة لم تكتمل، لم استطع أن أحدد لها مكانا ولا تاريخا ولكنها بعد سنة 1960، إما في أمريكا أو في الجزائر، والغالب هو المكان الأول [5].

([1]): ينظر: اللون الأخضر في القرآن، وزارة الصحة، المملكة العربية السعودية،2007، ص: 01.
([2]): ينظر: محمد زكي العشماوي، الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص15.
([3]): ينظر: سمية بولقشر، سيمياء العنوان ودلالاته الشخصية في قصة رجل محترم جدا للكاتب إبراهيم الدرغوتي، منتديات اتحاد كتاب الانترنيت العرب 23/ 05/ 2005، ص: 01.
([4]): ينظر: فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1998، ص: 68.
([5]): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر: ص:363.

إنه الزمن الذي لم يكتمل، واللون الذي حلم به الشاعر، فكان عنوانا لمجموعته الشعرية الكاملة؛ زمن تلاشى ومضى، زمن لا يعود، ولذلك ترى الشاعر يقول:

أيعود الزمن الأخضر؟

كانت فيه حكاية طفل.

يرعى النجم ويحلم. (1)

والشعر والحلم توأمان، لأن الشاعرية من أبرز سمات النص الشعري، وبخاصة العنوان، لأن الشاعرية الحالمة هي التي تفجر طاقات الإشارات اللغوية فيه، فتتعمق ثنائيات الإشارات، وتتحرك من داخله لتقيم لنفسها مجالا تفرز فيه مخزونها الذي يُمَكِّنها من إحداث أثر انعكاسي يؤسس للنص بنية داخلية، تملك مقومات التفاعل الدائم لتُوَلِّد ما لا يحصى من الأنظمة الشاعرية فيها (2).

وهذه الدلالات الشعرية للعنوان حاول أبوا القاسم سعد الله أن يشير إليها، فقال: "يعبر هذا الشعر عن زمنين أخضرين: عهد شبابي وعهد الثورة التي هي شباب الجزائر" (3) إلا أن هذا الحصر في زمنين يمتدان من 1950- 1960 لا يعبران عن الإشكالية الحلمية للعنوان إلا تعبيرا أوليا، واضحا ولا يليقان بشعرية العنوان، ولكن سنحاول لاحقا أن نبين ما تحمله القصيدة من أبعاد ودلالات.

---

(1): المصدر نفسه، ص: 363.

(2): ينظر: عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية،1985، ص: 22- 23.

(3):أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:360.

– ثانيا: العنوان الرئيسي "الزمن الأخضر" وأبعاده:

إن رحلة الكتابة عن اللون في الشعر ارتياد لفضاءات لا مدار لها، لأن الكلمة الملونة تحمل روح الشاعر وإصراره، وعقودا من الزمن والرؤى والتصورات، بل هي لهيب يتلظى بداخله ومساحة شاسعة لتصوراته، فتتداخل الآلام والأحلام في هذا الفضاء العنواني، مما يميط اللثام عن جوانب لغوية، وإيحائية وصوفية، هروبا من متاهات الحياة المتعبة.

ولذلك يتلظى الشاعر، ويلون رموزه ولغته الشعرية لتعود قادرة على بث خطاب شعري أصيل يريد إيصاله إلى المتلقي بكل أمانة ودقة ومسؤولية، لأن الشاعر يعيش في معترك التحدي، والتصدي وتفعيل الرؤيا على جبهات الحياة ولذلك يضيئها بأبجدية اللون لترتوي شآبيبها رؤى تمتهن التجوال في مدارات الزمن فعلا وانفعالا، وهي تشد ألوان الحياة، والشباب والثورة، والدين، والمجتمع بظلال وصور وومضات عشق لهذا اللون الراسم للوحات الصفاء، والنماء، والخصب، والحياة، على هذه الأرض، لأن اللون جزء من العالم المحيط بنا فهو يلازمنا في حياتنا، ويدخل في كل ما حولنا، لأنه عنصر الجمال(1) ولأنه هو ذلك التأثير الفيزيولوجي الناتج عن شبكية العين، سواء أكان ناتجا عن المادة الصباغية أو عن الضوء الملون (2)، ولأن اللون بصمة تشي بفرادة سيميولوجية، تشرئب نحوها الأبصار، فتتولد منها الدلالات، وتتناسل التصورات، وتتابع الأحداث مستشرفة رؤى وإيحاءات إنسانية تستوقف الفكر وتدهشه، فينمو المحدود، ويتسع المتناهي في سياقات "صورانية" تتعاضد فيها الأبعاد والعناوين الفرعية مكونة فضاء شعريا واحدا بعلائق مستترة تحت الدلالات، متآلفة في زحم نفسي روحي، لأن اللون ظاهرة من النور أو الإدراك البصري الذي يمكن من خلاله التمييز بين الأشياء كما يميز معاني الحياة (3).

ولا شك أن الإنسان الأول قد ميز الألوان، وتنبه إلى طبيعة اللون الأخضر الذي يلون الأرض، وربط هذا اللون بالزمان والحياة، وبخاصة في فصول النماء والخصب (4)، ولذلك ارتبط هذا اللون

---

(1): ينظر: أحمد مختار عمر، اللغة والألوان، دار النهضة العلمية، الكويت، د.ت، ص:13.

(2): ينظر: محمد السقاعيد، الألوان في القرآن الكريم، مركز بيت المقدس للأدب
WWW. Adbmqds. Com 2006, P 1-2.

(3): ينظر: مليح مرد، الإنسان والألوان، ضفاف الإبداع، مجلة إلكترونية،
WWW.C. Documents Settings , P1.

(4): ينظر: أحمد مختار عمر، اللغة والألوان، ص:21.

الأخضر بروح الدفاع والمحافظة على النفس، كما يبعث فيها الاسترخاء ويقلل من ضربات القلب، ودرجة الحرارة حين يكون أخضرا خالصا (1).

ويرتبط الأخضر بالحدائق والحقول، والنعيم، ولذلك يعد لون الألوان في الأديان السماوية بخاصة، فهو يمثل في العقيدة الإخلاص والخلود والتأمل الروحي، ويستعمل في عيد الفصح ليرمز إلى البعث، واللون الأخضر الحائل هو لون التعميد (2)، وهو عند المسلمين لون الألوان، إذ يلون ملابسهم وراياهم، وقبب مساجدهم، وقبور موتاهم بخاصة الأولياء الصالحين، وهو لون لباسهم في الجنة لقوله تعالى: ﴿**ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق**﴾ (3) وقوله: ﴿**متكئين على رفرف خضر**﴾(4)، ولعل هذا يعود لما يحمله اللون من معنى الرحمة واللطف والاعتدال والنهضة والشباب والحيوية (5).

إن إدراك الألوان عملية إدراكية لا تتأثر باللغة القومية فقط، رغم أنها تشكل جانبا من سلوك الإنسان، فاللون غالبا ما يرتبط بالإحساس بالسرور أو بنقيضه (6).

وللإحساس بالألوان شروط لابد من تحققها، فبعضها يعود إلى عوامل داخلية في جسم الإنسان وتركيب أجهزة الإحساس فيه، وبعضها يعود إلى عوامل خارجية منها مقدار الضوء الواصل إلى العين وطول موجته وزاويته ولونه(7)؛ لأن الألوان تتواءم كما تتواءم الأنغام بسبب تنسيقها فاللون فاللون الأخضر يخفف توتر الأعصاب والعضلات ويساعد على تركيز الفكر (8).

وقد ثبت أن العين ترى بصورة أفضل مع الضوء الأبيض المصفر أو الأخضر المصفر، ولذلك ينصح باتخاذ نظارات شمسية تتجه إلى الأصفر أو الأخضر المصفر، فهذه الألوان لا تزيد الرؤية فقط، ولكنها كذلك تقلل الضوء الزائد من أشعة الشمس (9)، وكل ذلك لأن عالم الأشياء ليس عالما مستقلا، بل هو عالم مدرك وتبدأ عملية الإدراك من خلال الحواس، وتحويل عالم الأشياء إلى عالم

(1): ينظر: المرجع نفسه، ص: 154.
(2): ينظر: المرجع نفسه،ص: 164.
(3): الكهف/ 31.
(4): الإنسان/ 21.
(5): ينظر مليح مرد، الإنسان والألوان، ص: 01.
(6): ينظر: قاسم حسين، الألوان، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2006، ص:75.
(7): ينظر: أحمد مختار عمر، اللغة والألوان، ص:91.
(8): ينظر: المرجع نفسه، ص: 151.
(9): المرجع نفسه، ص: 158.

الإحساسات، ثم تتحول هذه المحسوسات إلى انطباعات حسية بعد تدخل الوعي بالمحسوس [1]، ومن هنا يتحول عالم الأشياء إلى عالم الرموز، وعالم الصور إلى عالم إبداعي لا يكتف فيه الوعي بإدراك العالم بل يعيد إنتاجه وخلقه، ويحوله من عالم صامت إلى عالم حي، وإلى صورة خلاقة [2]...

ولذلك فالعنوان في حاجة إلى تأويل وإدراك ثان للمعاني؛ لأن عملية القراءة إدراك للإدراك، وتأويلها يتجاوز التطابق بين التعريف والمعرّف، ولذلك يعتبر التأويل من أهم أسس حرية الإبداع في الفهم والإدراك وتعينات الواقع [3]، فالعنوان صورة شعرية هي من نفس الشاعر، ومن صنعه وترتكز على البعد الجمالي في علاقته بالإنسان، بالعالم، ولذلك يضيف إلى الانطباع الحسي والإدراك العقلي الإحساس الإنساني بجمالية هذا العنوان، فإذا هو حامل لمعاني ودلالات أبدية [4]، وهذا العنوان أخضر أخضر على أصفر، وهذا ما يرمز إلى الحياة في الصحراء ، وقد ثبت أن العين ترى أفضل مع الأخضر المصفر كما يقول العلماء[5]، لأن هذا العنوان المصفر المخضر صورة خيالية، وفي الوقت ذاته حقيقية إلا أن المخيلة تحولها، لأن هذا العنوان يدرك بالخيال قبل أن ندركه حسيا، أو عقليا، لأن الإنسان يعيش شاعرا قبل أن يكون فيلسوفا، وفنانا قبل أن يصبح مفكرا [6].

والعنوان صورة والصورة موضوع مشترك بين علم النفس المعرفي والفلسفة والمنطق وعلم اجتماع المعرفة وأنثروبولوجيا الثقافة، والنقد الأدبي، وعديد من العلوم الاجتماعية، ولذلك فالعنوان صورة وحقائق تجمع بين الذات والموضوع، بين الرائي والمرئي لأن الصورة تجمع ولا تفرق [7]، وهذا وهذا ما سنراه في الأبعاد العامة لهذا العنوان، فإذا كان اللون الأخضر هو كل ذلك فما المقصود من عنوان أبي القاسم سعد الله الزمن الأخضر؟

لعل الاخضرار الذي يقصده الشاعر ويؤمن به نلمسه في الأبعاد التالية:

---

(1): ينظر: حسين حنفي، حصاد الزمن، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط1، 2004، ص: 272.
(2): المرجع نفسه، ص: 272.
(3): المرجع نفسه، ص: 274.
(4): المرجع نفسه، ص: 278.
(5): ينظر: حسين حنفي، حصاد الزمن، ص: 278.
(6): المرجع نفسه، ص: 278.
(7): المرجع نفسه، ص: 280.

أ/ البعد الديني:

إن أبا القاسم سعد الله ولد في بيئة صحراوية متدينة، ودرس على يد جمعية العلماء المسلمين، ومن هنا ورث هذا التصور الإسلامي لهذا اللون الذي يعد أفضل الألوان في تصوره لأسباب منها:

أ/ إن الله تعالى وصف في كتابه العزيز أهل جنته المخصوصين وهم يلبسون ثيابا خضرا فلوكان هناك لون أفضل منه لوصف الله به عباده [1].

ب/ لأن هذا اللون -كما يقول أهل الطب- يجمع الروح الباصرة جمعا رفيقا مستلذا غير عنيف [2].

ومن هنا فهو يعني الإسلامية، بل أبعادها دون أن ننسى تأثير الزيتونة في شخصيته على حد قوله "هناك ثلاث اتجاهات أثرت في حياتي منها التربية الدينية التي تلقيتها بالزيتونة" [3].

ويعني أنه زمن الصحوة الإسلامية بكل أبعادها ورؤاها، زمن القدرة على تخطي ليالي الجهل، وفيافي الظلام، ومن هنا فالزمن الأخضر علامة تواصلية إسلامية، علامة إيحائية معجزة تتقاصر دونها عبقرية الفن، لأنه سر الحياة الذي يعجز البشر [4]، ولذلك يحبه الرسول صلى الله عليه وسلم ويأمر به قال: "النظر إلى الخضرة يزيد في البصر" [5]، فالاخضرار زمن للقرآن، زمن للعودة إلى الفطرة، والبراءة والبراءة وطبيعة الإنساني الرسالي الذي فضله الله على خلقه.

ب/ البعد الطبيعي:

زمن الربيع حين يكسو هذا اللون مساحات شاسعة من الحقول المترامية الأطراف أو في الوديان التي تمتد عبر الصحراء، حيث تكسوها الأعشاب والنباتات الخضراء بعد هطول الأمطار عليها[6]، وهو ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءا فتصبح الأرض مخضرة**﴾[7]، فالأخضر علامة من علامات الخصب والنماء، أي إن الزمن هو زمن الانبعاث، زمن

([1]): ينظر: محمد السقاعيد، الألوان في القرآن، ص: 09.
([2]): ينظر: محمد السقاعيد، الألوان في القرآن، ص: 09.
([3]): أبوا القاسم سعد الله، منطلقات فكرية، ص: 45.
([4]): ينظر: محمد السقاعيد، الألوان في القرآن، ص: 14.
([5]): المرجع نفسه، ص: 09.
([6]): المرجع نفسه، ص: 15.
([7]): سورة الأنعام/ 99.

الشباب الطبيعي الذي يحي موات الأشياء، ومهما يكن فإن الموت والحياة من أهم القضايا التي حركت الإنسان منذ الأزل فنشأ كارها للموت ومحبا للحياة، ولذلك فكل من في الحياة يحبها.

يقول الشاعر أبو القاسم الشابي[1]:

هو الكون حي يحب الحياة، ويحتقر الميت مهما كبر

فلا الأفق يحضن ميت الطيور ولا النحل يلثم ميت الزهر

إنه زمن الربيع حينما يتحول الحلم فيه إلى حقيقة، فينجلي الظلام ليلف النور هذا الكون بخيوطه الذهبية المنسوجة بأنامل الأمل فينبعث في النفس الطموح إلى غد مشرق يشع بالحياة.

إنه الربيع الذي تكسر فيه البذرة الظلام فتخرج إلى النور ملونة بالأخضر الذي يصور فرحتها بالحياة، فتعكس في النفس عند رؤيتها حب الحياة، مما يبعث فيها الحيوية والنشاط [2]، فتحس بروعة الحياة وجمال البقاء.

إن الشاعر يرى في خصوبة اللون الأخضر وعطائه ثورة اجتماعية عارمة وشاملة تأبى الفساد والظلم والانحراف، وأن معانات الشعب تأبى الاصفرار والذبول "لأن الانتصار على الموت هو إرادة للحياة... وذلك لأن العدم الذي يلف الأرض بردائه الأصفر ينفطر عن النبض الذي يسري في عروق التراب والحياة اخضرارا وبهاء"[3]، ويتحقق بذلك انتصار الشاعر الذي يعكسه انتصار الشعب في كل كل زمان.

ج/ البعد الثـــوري:

إن الاخضرار هو ثورة نوفمبر الإسلامية بما تحمله من معاني بعيدة الدلالة، هذه الثورة التي انطلقت تحت راية "الله أكبر"، وبالكلمة السرية طارق عقبة، لها ما يبررها، ويبرر اخضرارها، فموتاهم شهداء، ومناضليهم مجاهدين، وخاتم جبهة التحرير بالحبر الأخضر... "فالشعر الذي يدعو إلى الثورة، ويمهد لها، ويلهب نارها، ويسمع دويها، ويدفعها إلى الأمام دفعا، ويخرجها من ظلام

[1] : أبوا القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة، دار العودة، بيروت، ص:42

[2]: ينظر: إليا الحاوي، في النقد والأدب المعاصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الجزء الرابع، (د.ت)، ص:221.

[3]: ينظر: نذير العظمة، التغريب والتأصيل في الشعر العربي الحديث دراسة نقدية للشعر والميثيولوجيا، منشورات وزار الثقافة في الجمهورية السورية، دمشق، ط1، العدد 118، سنة 1999، ص: 34.

الظلم، إلى ضياء الحق، ويجعل منها واقعا فعليا بعد أن كانت فكرة وحلما، وهو الذي نسميه ثور الشعر" (1).

إنها قمة الإسلامية في التصور والمبدأ، ولعل هذا ما يذهب إليه أبوا القاسم سعد الله الذي يحب الثورة، وهو ما يقوله رولان برت أن العناوين عبارة عن أنظمة دلالية سيميولوجية تحمل في طياتها قيما أخلاقية واجتماعية وأيديولوجية(2)، لأن العنوان عبارة عن رسالة، وهذه الرسالة يتبادلها المرسل والمرسل إليه، ويساهمان في التواصل المعرفي والجمالي وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية يفككها المستقبل ويؤولها بلغته الواصفة والما وراء لغوية، وهذه الرسالة ذات وظيفة جمالية شاعرية ترسل عبر قناة وظيفتها الحفاظ على الاتصال (3).

ولذا فالزمن الأخضر يضيء لنا في بداية الأمر ما أشكل من النص وغمض، وهو مفتاح تقني يُجس به نبض النص، وتجاعيده وترسباته البنيوية وتضاريسه التركيبية على المستويين الدلالي والرمزي[4]، بل إن عنوان الزمن الأخضر، علامة صورتية تتحول عبر الزماكانية بفضل ما تتميز به من قدرة على تخطي حواجز المكان والزمان، وإبدالهما بمواقف وصور جديدة لأن جمالية العنوان عنصر من عناصر الشعرية من حيث السياق والارتباط الجوهري والتواصل في الجانب الأيديولوج ي والديني والثوري ...

إن العنوان الأدبي الثوري ليس لوحة تتزاحم فيها الأشلاء والجثث والقنابل، والدماء، بل هو رؤية محددة قبل أن يكون وصفا، فالرؤية عنصر أساسي لا يمكن أن يستغنى عنه؛ لأن الفعل والفاعل معا ليس لهما قيمة في حد ذاتها إن لم يكشفا عن معنى، عن فكرة، عن رؤية (5)، ولذلك فإن الزمن الأخضر، زمن انطلاق الثورة الجزائرية الإسلامية، زمن الجماهير والإثارة والتفاؤل والأمل، والخلاص من قيود الاستعمار، زمن الآمال المرتقبة في ظل الاستقلال، ولذلك تمتزج العواطف فيه بالألوان امتزاج الأفكار بالوجدان.

---

(1): إبراهيم رماني، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، ط1، 1985، ص: 37.
(2): ينظر: جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، ص:99.
(3): المرجع نفسه، ص: 100.
(4): المرجع نفسه، ص: 96.
(5): ينظر: رشيد بو شعير: جريدة النصر، عدد4385، الجزائر، ص: 07.

وإحساس الشاعر بهذا اللون جعله يكره اللون الأسود لون الاستعمار والموت فجاء ديوانه خال من هذا اللون، بينما لون عنوانه باللون الذي يمنح لنفسه وروحه عمقا إنسانيا، وراحة قلبية شعورية، لأن العنوان بنية رحمية تولد معظم دلالات النص الفكرية والأيديولوجية [1]... ولأن الأخضر يزيل الصورة القاتمة المعتمة على المجتمع الجزائري، ويقوي في النفوس أمل الحياة، ونور الحرية، ففيه صحوات روحية من غمرات العذاب.

فهو لون الدفاع عن الذات، ورفض القصور الإنساني ولهذا كان هذا العنوان هو القصيدة الأم في الديوان، وهو عنوان الديوان وهوية المجموعة الكاملة لأبي القاسم سعد الله.

د/ البعد الفيسيولوجي:

إن أبا القاسم سعد الله لا يقصد من وراء "الزمن الأخضر" سوى زمن الشباب والقوة، زمن الفتوة والانعتاق من الطفولة إلى الرجولة، أي إن هذا الديوان ديوان غزل ونسيب ووجدانيات، وكل ما يتبادر إلى الذهن حول الشباب والمراهقة، ولعل هذا ما ذهب إليه المؤرخ الجزائري أحمد توفيق المدني حين قال: "فمن تأمل قصائد ومقطوعات شاعرنا الناشئ الثائر رآها تعبر عن جميع الأحاسيس، وتختلج بكل هاتيك المشاعر، وتتناول بيد الفنان الملهم مختلف عواطف الشعب وزفراته وآلامه وعذابه، فتصوغها دون تكلف شعرا ساميا" [2].

فالزمن الأخضر قد يكون هذه الفترة الجميلة الرائعة من عمر الإنسان، وقد يكون غير ذلك، وقد يكون زمن الثورة، وزمن شباب الأمة الجزائرية بكل أبعادها، وقد يكون زمن الإسلامية والصحوة الربانية، فكل هذه الأبعاد متقاربة ومتشابكة ويمكن أن نجدها في ديوانه بسهولة وبيسر، ولذا فالعنوان عند أبي القاسم سعد الله هو هوية للنص، وكل ذلك لأنه ينبض بكل معاني النص.

كما أن للعنوان معنى تقني ومعنى شعري يعطيه المتلقي انطلاقا من الأنساق التأويلية الضمنية والتي جعلها الاستعمال اجتماعية وتواضعية إلى حد ما، غير أن للشيفرات الجمالية عروضا خيالية

([1]): ينظر: جميل حمداوي: السيميوطيقا والعنونة، ص: 106.
([2]): سالم حجار، تاريخ الجزائر بنظارات سعد الله، مجلة آمال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية1983، ص: 35.

تأخذ قيمة من الإشارات التي لا يمكن التعبير عنها، لأن البعد الجمالي فيها غير مقنن، ويبقى مفتوحا أمام حرية تأويل المتلقي[1]، حسب ثقافته وأفكاره وقدرته على ربط العنوان بمضمون النص.

وهكذا يتمكن عنوان الديوان "الزمن الأخضر" من تصوير مضمون النص والكشف عن خباياه وأسراره، مما يسمح بتوسيع أفكاره وتعميقها عند المتلقي بكل ما يعكسه من أبعاد ودلالات وما يحمله من رؤى وتصورات أعادت للنبات الأصفر قلبه النابض بالحياة ولونه المشع بالخضرة، مما ساعد على إحياء المجتمع الجزائري وأعاد بنائه من جديد وفق العقيدة الإسلامية المثلى التي تستطيع أن توقظ بها ضمير الشعب وتنبه روحه، وتدفعه من ثم إلى وعي ذاته والمحافظة عليها والعمل على تحريرها بإعادة بناء الإنسان من عالمه الداخلي، وذلك بتكوينه نفسيا وعقليا وتصحيح مفهومه للعقيدة والحياة والكون من حوله، وغرس حب الجمال والاخضرار في ناظريه وبيان دوره في ذلك حتى يعي ذاته، ويميزها عن ذوات الآخرين ومن ثم ينطلق مدافعا عن روحه ووطنه لأن الاخضرار الحقيقي هو الذي ينبع من قلب الطبيعة حينما يحس الفرد بالاستقلال والحرية ... بعدما كان مقيدا وأسيرا.

ومن كل ذلك نخلص إلى أن الزمن الأخضر هو الثورة والشباب، هو القوة والينوعة، هو الإسلام والجنة، هو كل ماهو جميل في هذا الكون، هو الحب والوفاء والعطاء، هو الخصب والنماء...

فالشاعر محق في اختيار اللون الذي يعكس أفكاره ويصور فرحته وسعادته لأن اللون الأخضر هو لون الجنة وليس هناك سعادة وفرحة أكثر من الحصول على الجنة ... ولقد سخر الشاعر كل ما لديه من طاقات فكرية وفنية من أجل القضايا الإنسانية والثورة الجزائرية والواقع المعاش، فكان في كل أشعاره ملتهب الشعور، شعره يعبر عن جرح ممزوج بعبير الأمل والتفاؤل بالمستقبل المشرق [2]، الذي يحلم به كل إنسان على وجه الأرض.

([1]): ينظر: بيير جيرو، علم الإشارة السيميولوجية، ترجمة الدكتور مدور عياش، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، طبعة1، 1992، ص: 80.
([2]): ينظر: أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيدة، ص:39.

– ثالثا: الزمن الأخضر في القصيدة الرئيسية

سنحاول ولوج هذه القصيدة من زاوية نعدها مركز هذه الدراسة، لأنها في الأصل تمثل القلب النابض لهذا الديوان الذي وُسم باسمها وحمل بين طياته أضخم مدلولاتها بكل ما في الزمن من ألم وأمل، وما في اللون الأخضر من جمال وبهاء ...

وسنحاول استنطاقها بكل أبعادها الموضوعية والذاتية وذلك لنكشف عما تخفيه في أعماقها، ونبين كيف استطاعت مدلولاتها أن ترقص عبر أوتار الديوان، وما ينطوي عليه من عناوين تصب معظم معانيها في واد هذه القصيدة، رغم أنها غير كاملة فهي "بداية قصيدة لم تكتمل" [(1)]، إذ تتكون فقط من ستة أبيات، ورغم ذلك فهي تأخذ حصة الأسد من كل ما يحويه الديوان من أفكار، بل هي تمثل الغصن الرئيسي في شجرة الديوان والذي تتفرع عنه بقية الأفكار، ويمثل عنوانها "الزمن الأخضر" الجذر الرئيسي للشجرة والذي تتفرع عنه بقية الجذور الثانوية كعناوين تتعاون فيما بينها لتمتص مختلف الأحاسيس التي تسري في دم الشاعر فتتغذى الشجرة في زمن الثورة لتنمو خضراء نظرة، وقد تزينها أحيانا ورودا متفتحة مثمرة تلك هي أمل الشاعر في غد مزهر، وحلمه الذي ينير الديوان، فالزهرة هي النور الذي تنتظره البذرة حينما تكون في القبر، ويلفها الظلام، فهي توحي بصورة مفرحة عذبة تغرس في النفس الانعتاق والانسياب مع موجات الأمل والرجاء والانشراح فتستعين به على المقاومة والبقاء، وتنفذ منه إلى رحاب خضراء واسعة جعلت الشاعر يعيش الأمل والرجاء في عالم غني بالذكريات والعواطف المستكنة والأمنيات، فإذا روحه الشفافة ترسم الطريق لهذا النور الأخضر، وتجسد صورة البعث والنشور من رماد الحياة؛ لأن الشوق يجعل البذور تتفتق من جديد لتتنفس وتعانق نور الحياة، هذا النور الذي يرمز إلى التحرر من الظلام الذي يخيم على الجزائر في عهد الثورة فيملأ القلوب رعبا وذعرا، وتنسكب منه مرارة يذوب منها كل من التهب قلبه شوقا وحبا في الجزائر، ويتوق وجدانه إلى شمس مشرقة، وغد أفضل؛ لأن كل ألم ينبعث منه نور من الأمل ينير الطريق، ويضيء القلوب، ويبعث في النفوس الرغبة في الحياة والتطلع لغد مشرق زاهر بعطر أفضل، وجو أنقى، وليل هادئ يضيئه قمر بازغ، ومادام القلب ملتف بالنور والأمل فلا ظلام يرهب النفس.

---

(1): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:363.

ومما لا شك فيه أن الشاعر أبا القاسم سعد الله له شخصية متميز في إنتاجه الشعري مما يجعله يحتل مكانة خاصة لأن "الفن لا يتضح ولا يعمق، ولا يكون غنيا دسما إلا إذا استقلت شخصية منتجة وتميزت عن سائر الشخصيات الفنية بحيث يقدم لنا تجارب إنسانية من زاوية لها مميزات خاصة، ويقدم لنا متعة فنية لا نعثر عليها في انتاج لشخصية أخرى" [1].

وذلك ما سنحاول أن نبينه من خلال هذه الوقفة أمام قصيدة "الزمن الأخضر" [2] والتي قدمها قدمها الشاعر في ستة أبيات ترمز إلى الست سنوات الأليمة التي عاشها الشعب الجزائري إبان الثورة، والتي كان الأمل يلفها في كل لحظة، فالشاعر يؤكد أنه قالها بعد سنة 1960، أي بعد أن بدأ الاخضرار يلف الكون، والحلم يمتثل حقيقة مذهلة والفجر يرسل بأنواره المتلألئة من أفق بعيد، وكل ما في القصيد يتمثل في الآتي:

أيعود الزمن الأخضر؟

كانت فيه حكاية طفل

يرعى النجم ويحلم

ألوان، أمواج ضياء تعبر...

من ذاك اللون غدي ...

في هذا الضوء يدي... [3]

ويمكن لنا بادئ ذي بدأ أن نميز على وجه التقريب لا الحصر بعض المحاور الأساسية التي تدور حولها القصيد والتي يمتد سيطها على مدى الديوان، وهذه المحاور هي:

أ/ الشوق والحنين إلى الماضي

ب/ ذكريات الصبا

(1): أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيد "تأملات وخواطر حول الشعر"، ص:44.
(2): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:363.
(3): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:363.

ج/ الأمل في غد مشرق

وهذه البنى الجزئية الإنزياحية تنسكب بظلالها ودوالها على البناء الكلي المفصل للقصيدة، بفضل تأثيرها على الديوان بأسره، وبفعل سلطانها الذي يمتد ليشمل جل قصائده.

وإذا أمكن أن نعتبر هذه البنى الأولية مفاتيح دالة تحتل الصدارة وتتأرجح في أفق القصيدة الأم، فهي تشمل البنية الموازية لبقية النصوص، وتجسد التأويل لموضوعه تماما كعنوان مفتوح، بل إنها تفرض علينا سلطانها لتمد بجذورها إلى أعماق الديوان فتستل من قصائده ما تسقي به مضمونها وتروي به عطشها من أفكار ورؤى وتصورات ...

وأول نظرة في القصيدة تجعل العين تقع على السؤال

أيعود الزمن الأخضر؟[1]

وهو يمثل أول بيت في القصيدة جعله الشاعر مخزونا لغويا ودلاليا يختصر الكثير من المعارف والدلالات، يقول: "شوبنهاور" بيت واحد يكتبه شاعر أفضل من مجلدات مؤرخ، وكثيرا ما فضل العرب شاعرا لبيت قاله [2]، ونقف هاهنا وقفة قصيرة لنتساءل عن السر الذي جعل الشاعر يبتدئ قصيدته هذه بسؤال، ولعل الإجابة عن هذا التساؤل تستوجب علينا أن نقف عند المحاور الأساسية لهذه القصيدة، ونبدأ بما يلي:

أ/ الشوق والحنين:

إننا أمام قصيدة نابضة بالحياة، تسير في طريق الخلود، تبعث بأنفاسها في الشعب روح الحياة الحقة مجسدة على أرض الواقع؛ لتضيف إلى عمره آمادا وآفاقا أكبر وأوسع، فالشاعر كالشمعة ينير الدرب لغيره بينما يحترق من الداخل، وأبوا القاسم سعد الله من رواد الشعراء المحدثين الذين أناروا الطريق لشعوبهم، فهو رسول من رسل الحياة إلى الآخرين، لأنه مطلع على خفايا الحياة ما لم يطلع عليه الآخرين، فهو يحس بالحياة كما انبثقت أول مرة من نبعها الأصيل، وكما تدفقت غير منقطعة في

([1]): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص: 363.
([2]): ينظر: ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وأدبه، ت ج محمد محي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة التجارية، القاهرة، ج1، ط1، 1934، ص: 149.

مجراها الواسع الطويل [1]، ففتح المنافذ بينه وبين شعبه لينقل له صورة الحياة الرائعة في زيها الفاتن، وكأنها صرخة من صرخات الميت في وجه القدر، تنبعث لتبحث عن الحياة وتفتش عن الخلود...

والقصيدة بذلك تمثل مدرسة إنسانية تعلم البشر كيف تكون الحياة، وكيف يكون الرفض والصمود في وجه العدو، فيبرز ذلك الصراع القوي بين الحياة والموت، وبين الفناء والخلود، فالشاعر يحفز شعبه على النهوض من سباته العميق ليواجه واقعه وينتصر على الاستعمار بكل مخلفاته ليسترجع بذلك زمنه الأخضر بكل ما يحمله من خير وجمال، فكان الشوق إلى هذا الغد المشرق يسري في عروق الشاعر مسرى المياه في الوديان، وهو يطالعنا منذ أول بيت في القصيدة حتى نهايتها بكل ما حفلت به من ذكريات التصقت بالذاكرة واتصلت بالنفس فأشرقت عوالم بهية من الشوق الإنساني الحافل بالحنين، فتجتمع هذه المشاعر وتلك لتجعل الشاعر يستوقف الزمن لحظات ليتساءل في حيرة:

أيعود الزمن الأخضر[2]

من المؤكد أن صورا جميلة عاشها الشاعر ترتسم أمام ناظريه وتتدافع لتحرك جوارحه نحو الماضي بكل ما يلفه من حرية وما يحمله من خير وما يصوره من جمال وبهاء ونور قبيل أن يخيم الاستعمار بظلامه الدامس على الوطن الغالي الذي "قلما يوجد شبر منه لم تسقه الأقدار دما" [3]، فالواقع الجزائري آنذاك كان لا يوحي إلا بالألم والحزن، ولا يفشي إلا بالمرارة والأسى؛ لأن الحرمان والبؤس والفقر والاستغلال والجهل والتشريد ضرب بجذوره في أعماق الوطن، فأصبح كل حر سجينا في وطنه، وأضحت الحرية حلما بعيد المنال، فكانت الجزائر تنادي "نداء الأمومة المقهورة من الداخل تنشد مواويلها العطشى وأغانيها الحزينة من جراء الخراب الذي يلتهم الوطن ويمزق أحشاءه [4] بفعل سموم الاستعمار التي لا ترحم صغيرا ولا تشفق على كبير، "فواجه المواطن الجزائري محاولات التجهيل وطمس اللغة وتراثها بالحضارة الإسلامية ومقوماتها الروحية" [5]، وكان لزاما على كل حر محب لوطنه غيور عليه أن يقف بالمرصاد لهذا العدو الجبان، ويثبت بالمدفع والرشاش قدرته على الصمود والتضحية، كما اتكأ في طريقه إلى النضال على الفن والأدب، لأن " الأدب عطاء حضاري يتفاعل

([1]): سيد قطب، النقد الأدبي، أصوله ومنهجه، دار الشروق، بيروت، ص:56.
([2]): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:363.
([3]): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:15.
([4]): عبد الكريم شيرو، التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، ص:30.
([5]): نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتجريب، دار العلم للملايين، بيروت، ص.ب1085، ط1، يناير 1981، ص: 247.

مباشرة وباستمرار، مع البيئة التي يعيش فيها فيتبناها ويقودها" [1]، ويبرز هنا دور الكلمة الشاعرة في الخلق والإبداع، تلك الكلمة التي ولدت في فؤاد الشاعر الصامد وترعرعت في قلبه... تلك الكلمة التي رسمت الملاحم البطولية التي جسدتها الثورة التحريرية والتي عبرت على قدرة المقاومة الجزائرية على الصمود والتحدي والمواجهة مهما كانت الظروف قاسية والمسالك وعرة[2]، فكان السؤال:

أيعود الزمن الأخضر؟[3]

إنه سؤال عذب استطاع أن يقفز على الجراح التي خلفها الاستعمار المدمر، وأن يتخطى به حدود الحزن والكآبة، ويفتح منه نافذة على دروب المستقبل الباسم المبشر.

إنه سؤال تولد من الأحداث الضخمة التي عاناها الشعب الجزائري لأنه وبقدر ما يعبر عن هذا الموقف العظيم بقدر ما تتولد منه أشعة ذهبية من النور تتولد من بعيد وتلتصق بذاكرة الزمن وبمخيلة التاريخ؛ لأن حجم هذا السؤال يعادل حجم الجرح في قلب الوطن، فنشعر بجمال ذلك الزمن الأخضر قبل أن تطأ يد الاستعمار شبرا من حياة الشاعر، فنحس بكل ما يحمله اللون الأخضر من جمال وبهاء، ونحس بما يرمز إليه الاخضرار من حب وشباب وينوعة، وما يحمله من أمل وانبعاث للحياة، فقد "وصل العلماء إلى قرار قاطع بأن اللون الوحيد الذي يجلب السرور للنفس والانتعاش في الفكر هو اللون الأخضر" [4]، الذي يصف حال أهل الجنة وما يحيط بهم من نعيم، قال تعالى: ﴿**متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان**﴾ [5] ويتضح من خلال ذلك أن الزمن الأخضر الذي يناشده الشاعر هو زمن القوة والثورة والعطاء، زمن النماء والحب والشباب، زمن الجمال والأمل والخير...

([1]): المرجع نفسه، ص: 13.

([2]): أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيدة (تأملات وخواطر حول الشعر)، ص:66.

([3]): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص363.

([4]):http//members. Tripod.Com/ayah werjaz/medecine 5.htm

([5]): الرحمان/72.

ب/ ذكريات الصبا:

يستحيل على الشاعر أن ينسى ذكريات الصبا، فتتزاحم الصور أمام ناظريه، وتتدافع الخواطر في جوارحه، يقول الشاعر:

كانت فيه حكاية طفل

يرعى النجم ويحلم (1)

إن ذكريات الشاعر ليست ذكرياته وحده بل هي تمثل ذكريات أمة بطفولتها وشبابها وجزرها "ولأن التجربة الشعرية كما يرى أحد النقاد تتكون من مادة الحياة بنوازعها وكوامنها الظاهرية والخفية، يصوغها الأديب ويسلط عليها من إشعاعات نفسه وعقله ما يجعلها تخاطب الناس"(2)، وتحرك الضمير ليسقي بذرة الأمل في النفوس، إن حكاية هذا الطفل ترمز إلى الحياة الحقة الحقة التي لا ترضى للاستسلام والموت، فالطفل هو الوطن وهو البراءة والأمل، هو كل قلب نابض بالأمل متحد للقدر، هو الحلم وهو النور الذي ينمو صغيرا ليكبر كلما لاقى العناية والاهتمام فينير الكون بإشعاعاته ويمحو الظلام ببريقه ولمعانه،...

استطاع الشاعر أن يعود بالذاكرة إلى الوراء سنوات طويلة ليمتص رحيق الحياة بحلاوتها وبهائها، ويتذكر أيام الطفولة الجميلة، وتلك الأحلام التي تراود البراءة تحت ضوء القمر، إنها ذكريات الغالي التي بقي متعلقا بحصاها وعيون أطفالها البريئة...

فالحلم كان يعانق الأمل، والنجم هو ذلك النور الوضاء الذي ينير الكون في الظلام، واقتران الحلم بالطبيعة جانب مشرق إيجابي الاتجاه يبحث من خلاله الشاعر عن منافذ الحرية، ويستعين به على المقاومة والبقاء، وينفذ منه إلى رحاب واسعة، وهذا الوعي هو الذي جعله متفائلا لا يخاف ولا يخشى حلك الظلام؛ لأنه يتخذ من النجم نورا وضاءا يمسح به سواد الليل، ولذلك يرى الكون فسيح المجال جميلا بمختلف الألوان فيقول:

---

(1): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:363.
(2): أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيدة، ص:47.

ألوان، أمواج ضياء تعبر[1]

وبدون النور الذي هو في الأصل أبيض اللون لا يمكن أن يرى أي لون من الألوان يقول ليونارد دي فنشي" أول الألوان البسيطة الأبيض ... الأبيض يمثل الضوء الذي بدونه ما كان يمكن رؤية لون، والأصفر والتربة، والأخضر الماء، والأزرق الفضا ء، والأحمر النار، والأسود الظلام الحالك"[2]

إن الحلم يفتح مجالا واسعا للعين فترى ألوانا مختلفة لأن "اللون جزء من العالم المحيط بنا، وهو يلازمنا في حياتنا ويدخل في كل ما حولنا" [3]، حتى أصبحنا لا نستطيع أن نستغني عنه حتى لو أزحنا عامل الجمال جانبا، ومن طبيعة هذا الكون أن لا ترى هذه الألوان إلا في النور، فالليل يقتلها وظلمته تقضي عليها، ولذلك فالشاعر يرى جمال الألوان حينما تتعانق مع موجات الضوء، فينغرس الحلم بعمق ليكبر في نفس كل فنان محب للحياة، وعاشق لجمالها على اختلاف ألوانه، وهذا ما يعمل الشاعر على غرسه في النفوس لينبعث الأمل في غد مشرق.

ج/ الأمل في غد مشرق:

لقد أوغل الشاعر في معاناته وآلام وطنه وما حل به من انكسار وخراب مما جعله يدخل إلى عالم الأحلام، فإذا الألوان توحي بالأمل رؤى عذبة مفرحة تغرس فينا الانعتاق والانسياب مع موجات الأمل والرجاء والانشراح لذلك يقول:

من ذاك اللون غدي[4]

وهذا الاندماج مع الطبيعة هو فيض من الأمل جعل الشاعر يندمج فيها، واقتران الأمل بالطبيعة جانب مشرق إيجابي الاتجاه يبحث من خلاله الشاعر عن منافذ الحرية، ويستعين به على البقاء والمقاومة وينفذ منه إلى رحاب واسعة، وهذا الوعي هو الذي جعله متفائلا لا يخاف ولا يخشى الظلام لأنه يقول:

([1]): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:363.
([2]): الدكتور أحمد مختار عمر، اللغة والألوان، دار النهضة العلمية، الكويت،د.ت،ص:41.
([3]): المرجع نفسه، ص: 13.
([4]): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:363.

في هذا الضوء يدي[1]

فالنور دائما يصاحبه، والأمل رفيقه الدائم في الحياة، والأخضر لونه الذي يلون حلمه ويصور أفقه، ولذلك يستل كلماته من الطبيعة كالعارف للسنن الكونية، ومسيرة الحياة بشقائها وعذابها:

ألوان، أمواج، ضياء، تعبر[2]

فهذا الأمل هو توقع لما فيه الخير والنفع، يعكس البعد الروحي العقيدي، ويصور رومانسية الشاعر الذي ارتمى في أحضان الطبيعة، فإذا هي جنة خضراء في ناظريه، استطاعت أن تشده إليها ليعيش الأمل والرجاء في عالم غني بالذكريات والعواطف المستكنة والأمنيات، متطلعا إلى النور بين رحاب الفضاء في فيافي النفس المحترقة بأسس الروح وعذاب الوطن، مدركا أنه مع كل ألم ينبعث نور من الأمل ينير الطريق، ويضيء القلب ويبعث في النفس التطلع لغد مشرق زاهر، فيتعانق الأنا والآخر، ويبرز لون من ألوان الحب المبدئي البعيد المدى الضارب في جذور التاريخ، لأن بداية الانهيار تكمن حينما يحترق المرء دون نار، وحين يبكي دون دموع، فالشاعر يدعو إلى التحرر بشراهة ليتألق ويمنح للآخر حق الحياة الخضراء، إنه المبدع الذي يبحث عن الفردوس المقدس للآخرين، فتبقي القصيدة غير مكتملة ليظل الأمل سائرا في النفوس، وتبقى مجهولة المكان ليستمر البحث عن ما تخفيه من جمال وبهاء يقول أبو القاسم سعد الله:"هي بداية قصيدة لم تكمل، لم أستطع أن أحدد لها مكانا ولا تاريخا، ولكنها بعد 1960، إما في أمريكا أو في الجزائر، والغالب هو المكان الأول" [3]، فتبقى بذلك قصيدة غير كاملة و مجهولة التاريخ والمكان ليظل الأمل قائما والحلم مستمرا لأن "اللون الأخضر يحوي معنى الرحمة واللطف والاعتدال والبهجة والشباب والحيوية" [4]، ويبعث في النفس الهدوء لأنه "من الألوان الباردة الهادئة"[5]، التي يرتاح القلب كلما نظر إليها، وهكذا يبقى الأمل قائما ويبقى الحلم أخضرا... ولذلك فالمسلمون يحبون اللون الأخضر فيلونون به قبورهم ومساجدهم وأعلامهم، وكان صلى الله عليه وسلم يحب اللون الأخضر لأنه يريح العين، ويرتبط بالطبيعة، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم

([1]): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:363.
([2]): المصدر نفسه، ص: 363.
([3]): المصدر نفسه، ص: 363.
([4]): ينظر: مليح مرد، الإنسان والألوان، ضفاف الإبداع مجلة إلكترونية، WWW. C. Documents Settings P1
([5]): المرجع نفسه، ص: 05.

يأمر الناس أن يرتدوا ما صفا لونه وخلا من الدنس وأراح العين" [1] وأحسن ما يمثل ذلك هو اللون الأخضر وما يرمز إليه من القوة والخير والجمال ...

([1]): المجلة الإنجليزية للألوان، ترجمة بهاء الدين إبراهيم مجلة حراء، يناير مارس2006، ص: 08.

– رابعا: علاقة العنوان الرئيسي بالعناوين الفرعية

1/ تمهيد:

"إن العنوان هو جزء من العمل الشعري" [1]، فهو إذن جزء من الحالة الشعرية التي يكون فيها الشاعر لحظة نظمه للقصيدة، ليبرز هناك تكامل شعري بين العنوان والقصيدة، مما يجعلنا نؤكد أن العنوان يحمل من الشعرية ما يجعله "نصا مستقلا بذاته كما يحمل إضافة إلى معانيه الذاتية معاني ودلالات النص الذي يسمه" [2]، ولذلك إذا احتاج الباحث شعرية النص فعليه أن يجدها في العنوان أولا، غير أن هناك من يرى عكس ذلك تماما أمثال الغذامي الذي يعتبر أن العنوان "عمل غير شعري جاء في حالة غير شعرية، وهو قيد للتجربة فُرض عليها ظلما وتعسفا" [3]، فهو في نظره يكون الشاعر في حالة شاعرية وبعد انتهاءها يتذكر أنه نسي شيئا في القصيدة وهو العنوان فيسمها في غير حالته الشعرية، فيكون بذلك العنوان–في رأي الغذامي– مفسدة للقصيدة [4]، ولكن يبقى لكلٍّ رأيه وتفكيره وقناعته، وكل شيء فني قابل للحوار والنقاش ويبقى الحكم على الفن حكم نسبي، فالذي نراه نحن جميلا ممتعا قد يراه غيرنا بعيدا كل البعد عن الجمال والمتعة، والذي نراه من صفات القوة قد يراه الغير من صفات الضعف، وكل شيء يتشكل حسب نوعية التفكير... [5]، والمهم أن العنوان في النص أصبح ضرورة ملحة ومطلبا أساسيا "لا يمكن الاستغناء عنه في البناء العام للنصوص، لذلك نرى الشعراء يجتهدون في وسم مدوناتهم بعناوين يتفننون في اختيارها" [6]، لأنهم يدركون أهميته البالغة على اعتباره "بنية رحمية تولد معظم دلالات النص، فإذا كان النص هو المولود، فإن العنوان هو المُولِّد الفعلي لتشابكات النص وأبعاده الفكرية والأيديولوجية [7]، فهو بمثابة الموجه الرئيسي للنص الشعري، كما أنه "عنصر ضروري في تشكيل الدلالة، وتفكيك الدوال الرمزية، وإيضاح الخارج، قصد إضاءة الداخل"[8]، وإزاحة اللبس والظلمة عليه.

([1]): في حوار مع عبد الوهاب البياني، مجلة الثقافة، ص:12 نقلا عن: عبد القادر رحيم، سيميائية العنوان في شعر محمد الغماري، ص:64.
([2]): عبد القادر رحيم، سيميائية العنوان في شعر مصطفى محمد الغماري، ص:55.
([3]): عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1985، ص: 263.
([4]): المرجع نفسه، ص: 261.
([5]): ينظر: أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيدة، ص:08.
([6]): عبد القادر رحيم، سيميائية العنوان في شعر مصطفى الغماري، ص:27.
([7]): ينظر: جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، الكويت، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثالث، يناير مارس1997، ص: 106.
([8]): المرجع نفسه، ص: 109.

إن الشاعر أبا القاسم سعد الله من خلال ديوانه "الزمن الأخضر" يعبر عن نظرة تفاؤلية عبر مختلف ما ورد في الديوان من قصائده، وكل قصيدة تسعى إلى تصوير هذا الواقع منذ أول نظرة في عتبتها الأولى -أي عنوانها- وإذا كان الزمن الأخضر هو العنوان الرئيس للديوان، فماهي علاقته ببقية عناوين الديوان؟ وما مدى ترابط هذه العناوين الفرعية ببعضها البعض؟ وهل يحيل عنوان المجموع إلى كل القصائد أم إلى بعضها؟

هل هناك قاعدة تحكم بناء وصياغة هذه العناوين عند الشاعر؟ أم أن كل عنوان مستقل عن الآخر؟ وهل نجد الزمن الأخضر مستترا في بقية العناوين؟ هذا ما ستحاول الدراسة توضيحه من خلال النظر في العلاقة بين العنوان الرئيس ببقية العناوين الفرعية.

2/ تجليات العناوين الفرعية في العنوان الأصلي"الزمن الأخضر":

سنحاول ولوج هذه الدراسة راسمين مجالا أوسع لنبين فيه علاقة العنوان الرئيسي بالعناوين الفرعية في ديوان "الزمن الأخضر"، على اعتبار أن هذه العلاقة تلعب دورا كبيرا في الكشف عن استراتيجية العنونة من منظور علاقة العنوان بمضمون القصيدة، لأن العنوان هو الذي يشير إلى مضمون القصيدة، بل ويتعدى ذلك إلى حمل مضمون الديوان بأسره، بكل رؤاه وأبعاده فيكون بذلك الديوان كله أخضرا يعكس زمنا يحمل أبعاد ودلالات الاخضرار، ولذلك كان أول عنوان يصادفنا حين نفتح الديوان هو"رب يوم" [1]، فعلاقتها بالعنوان الرئيسي علاقة تفاعلية زمنية تشتركان في الذكرى وفي الشوق والحنين والألم والسعادة:

رب يوم أظل فيه سعيـــدا

طرب اللب كالمصاب بهوس [2]

بهوس [2]

إن العنوانين يشتركان في اللون الأخضر، هذا اللون الذي يظل حلم الشاعر في كل زمان:

من جذوع سمت بأكرم غرس

---

(1): أبوا القاسم سعد الله: ديوان الزمن الأخضر، ص:19.
(2): المصدر نفسه، ص: 19.

اتخذ النور هالة في السمـــاء [1]

ويأتي العنوان الثاني "شعاع الماضي" [2] ليزكي العنوان الأصلي الذي له بعد الماضي "الزمن الأخضر" لان الشاعر لا يزال يعيش الماضي ويبحث عن اخضراره، وعن سر حياته، إنه يبحث عن فردوس القلوب، وعن روض الصبابة وعن أمان الهوى، وعن جمال الفؤاد، وعن الأمل الجميل، فتتحول الكلمات لدى شاعرنا إلى أغنية جميلة يرقص الزمن الماضي على أوتارها رقصة مودع ترك في العودة أملا حينما لون نفسه بالأخضر فكان العرس.

أسلو بنورك بل نارك تائهـــــا

بالحب في عرس الصبابة ضانـــي

....

وانتشر بفردوس القلوب جلالة [3]

غير أن شعاع الأمل قد أفل فبقيت الذكرى التي تمحى بمرور الوقت والزمن.

دان من الأمل الجميل توهمـــا

فرحا يتيه وليس هو بـــدان

أفل الشعاع –فليته– وسلاني [4]

وتأتي القصيدة الثالثة (تاج العرب) [5]، لتعمق هذا البعد الذاتي الأساسي الشاعري، وتوسعه إلى الحضارة العربية، إلى الماضي حين أضاء الأخضر، سماء الأفق.

سناء أضاء الأفق من كل جانب

(1): المصدر نفسه، ص: 20-21.
(2): المصدر نفسه، ص: 23.
(3): المصدر نفسه، ص: 24.
(4): المصدر نفسه، ص: 25.
(5) : المصدر نفسه، ص:27.

وودق دفيق الرج كالسيل زاغب

أزاح كليم الليل والليل ساحم (1)

فكان الحلم وكان تاج العرب فعلا يرمز إلى الشيخ البشير الإبراهيمي؛ لأنه يمثل بحق زمنا أخضرا لبلاده بل للعرب جميعا بكل ما قدمه من عطاء للعلم والفكر والأدب، إنه يجسد صورة الزمن الأخضر بكل ما يرمز إليه اللون الأخضر من أبعاد ودلالات للخير والنماء، ولعل "جمعية العلماء" * مثال حي للإخضرار، وصورة عاكسة لزمن أخضر غذى العقول ونمى فيها كل معاني الحب والجمال والخير والحياة، ويذكر الإبراهيمي أن المحاولة الأولى كانت في سنة 1924 عندما زاره (ابن باديس) في مدينة سطيف وفاتحه في تأسيس جمعية إصلاحية باسم (الإخاء العلمي) وطلب منه وضع قانونها الأساسي"(2)، وبذلك برزت إلى الوجود لتنير الظلام فيه؛ لأنها حركة تمثل شعار العروبة والإسلام، دون أن ننكر دورها في مواجهة المستعمر وكسر قوته وكبح عزيمته، وهكذا يتحول الحلم إلى حقيقة، وينجلي الليل بظلامه الدامس ليلف النور قلب كل محب لوطنه غيور عليه، فينغرس في النفس طموحا في غد مشرق يشع بالحياة.

وبعد هذا الرجوع بالذاكرة إلى الزمن الأخضر يأتي العنوان الرابع "يا روضة المجد" لتكون الاستراحة وسط الاخضرار فترتسم الصورة واضحة رائعة لأن الروضة هي الجنة يقول:

في جنة النور بين السام والماس

وأصدح مع الطير في أفق به وله

من نشوة الروح بين الثغر والكأس (3)

إنها أبيات تعكس بصدق البعد الديني للون الأخضر الذي هو لون النعيم في الآخرة، قال تعالى: ﴿ **عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق...**﴾(4) وقوله: ﴿**متكئين على رفرف خضر وعبقري**

---

(1) : أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:27.

*: تأسست جمعية العلماء في (نادي الترقي) بالعاصمة، وفي مؤتمر قومي استمر أسبوعا وانتخب (عبد الحميد ابن باديس) أول رئيس لها، وكان ذلك في 17 ذي الحجة 1349 الموافق لـ 5 ماي 1931.

(2): صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1884، ص: 23.

(3): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:31.

(4): الإنسان/21.

وعبقري حسان﴾ [1] مما يعمق علاقة العنوان الأصلي بالعناوين الفرعية وبخاصة في الاشتراك في دلالات الحلم والرؤى، وهي الأمنية التي يصبو إليها الشاعر ويتمناها، فكان العنوان (يا روضة المجد)[2] يليه (قيثارة الأنغام) [3] وكلها أعراس للشاعر، وبينما الشاعر يعيش حلم حلاوة الزمن الأخضر تنتابه لحظة تحسر وألم عليه، فيأتي العنوان "دموع العبقرية" [4]، ليجسد بعمق دلالات الزمن الأخضر ويعكس الحسرة على غيابه، ويبين أنه مرسخ في الذاكرة ولن تمحوه السنون:

وضوء لجبريل الخلود المـــروع

ترجع أوتار الإله لحونهـــــــــــــا

فتصعد هيمى في الفضاء المرجح [5]

فكانت لحظة ألم قصيرة يتجاوزها الشاعر بسرعة، ليعود إلى زمنه الأخضر، هذا اللون الذي استخدم ليرمز إلى قوى الأمل في الكوميديا الإلهية عند دانتي [6]، فجاء عنوان "أغاني الربيع" [7]، والذي والذي يصور بصورة واضحة ورائعة في نفس الوقت حلم الشاعر وكل أمنياته الخضراء؛ لأن الربيع في حد ذاته هو السعادة والهناء، وهو الراحة والرخاء، وبخاصة إذا صاحبه الغناء فتكون الجنة الخضراء مرتسمة بين أحضان العنوان قبل أن تنعكس في القصيدة؛ لأن العنوان عبارة عن علامات سيميوطيقية تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النص، كما تؤدي وظيفة تناصية [8].

وقد حملت قصيدة (أغاني الربيع) ما دل على جمال الزمن الأخضر يقول:

فأشرقت الحواضر والبوادي

وأخصبت القرائح والمغاني [9]

---

(1): الرحمان/76.
(2): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر،ص:31.
(3): المصدر نفسه، ص: 33.
(4): المصدر نفسه، ص: 37.
(5):المصدر نفسه، ص: 37.
(6): http/ an wikipedia. org
(7): المصدر نفسه، ص: 39.
(8): ينظر: جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، ص:96.
(9): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:39.

لكن سرعان ما يعانق الفراق الحنين فيصبح الزمن الأخضر حلما يحق للشاعر أن يطرح السؤال:

أيعود الزمن الأخضر؟[1]

وتبرز العلاقة واضحة بين العنوان الرئيسي وعنوان "أغاني الربيع" الذي يكمل "الزمن الأخضر" في أبعاده وأحلامه.

ويسكر الشاعر مع أحلامه فيأتي عنوان (الحب الحلال) [2]، الذي هو في الأصل أخذ من بيت بيت في القصيدة، فيصور جمال الاخضرار ويعكس الأمل في غد أفضل.

وهكذا نلاحظ بأن ترتيب هذه العناوين كان وفق الترتيب الزمني، أي العنوان يؤرخ ويكمل السابق، وفي كل مرة يرتسم "الزمن الأخضر" بشتى أبعاده ويظل الحلم قائما، واللون الأخضر نورا مستترا خلف كل عنوان فيصرح به في العنوان الموالي (كأس الحياة)[3] فيقول:

يا (أخضر) ما للمروج جديبة

أكذا خيالك أخضر جديب !

أمست قمار منذ فقدك ترتوي

بلظى الدموع وأنت بعد قريب [4]

ويُرسم بروعة "الزمن الأخضر" في الأبيات ليوطد العلاقة بشكل أعمق بينها وبين العنوان الرئيسي إلى درجة أننا نستطيع أن نسم هذه القصيدة بالعنوان الرئيسي دون أن يحدث أي خلل في المعنى؛ لأن الشاعر قدس فيها اللون الأخضر إلى درجة أنه أصبح يخاطبه، وإن كان يرمز في أعماقه إلى أبعاد أخرى لأنه استخدم الرمز الذي يولد الغموض هذا الغموض تدعمه الموسيقى الشعرية المتناغمة التي تبعث من ثنايا الألفاظ والتراكيب ... [5].

([1]):أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر،ص:363.
([2]):المصدر نفسه، ص: 41.
([3]): أبوا القاسم سعد الله: ديوان الزمن الأخضر، ص:43.
([4]): المصدر نفسه، ص: 44.
([5]):أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيدة تأملات وخواطر حول الشعر، ص:59.

ولا يزال الزمن الأخضر يسري عبر الديوان فيأتي العنوان الموالي (ملائك الخلد) (1)، ليعكس هذا الجمال، إنه جمال رومانسي حالم، جمال الكون حين تتجلى الطبيعة بكل مفاتنها، وتمرح الكائنات الحية فيها سعيدة، هائمة بحب الطبيعة، جمال يتكون من عذوبة المخلوقات التي لا تحد فرحتها الحدود ولا القيود، وهذا مفهوم روحي، نفسي يوحي بواقع أبي القاسم من جهة وبواقع الجزائر في تلك الفترة، فترة الإرهاص للثورة التحريرية الكبرى.

رفرفي يا ملائك الخلد عنـــي

وابعثي في الوجود ضوءا بهيا

يغمر الأفق والمشاعر حبــا

ويشيع السرور روحا رضيا (2)

فيكون الخلد صفة موافقة للزمن، ويكون الملاك هو الأمل وهو النور الذي يعكس حلاوة الزمن الأخضر، ويبقى الشاعر مع الجمال ليرسمه مرة أخرى في العنوان الموالي (رفيف النرجس) (3) يقول:

جمالك أم رفيف النرجـــس

أندى وأبهى نظرة في الأعين (4)

وهي كل ما في القصيدة إذ تمثل "مطلع قصيدة ضائعة أو لم تكمل" (5)، ولعل ذلك يعكس حلم الشاعر الذي لم يتحقق بعد وأمله الذي يناشده، فهو لم يصل بعد إلى الجمال الذي يجري وراءه، ولذلك يأتي العنوان الموالي (سراب) (6)، ليرسم ضياع الشاعر وهو يبحث عن النور وعن القوة في "قصيدة غير كاملة" (7).

(1): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:47.
(2): المصدر نفسه، ص: 47.
(3): المصدر نفسه، ص: 47.
(4): المصدر نفسه، ص: 49.
(5): المصدر نفسه، ص: 49.
(6): المصدر نفسه، ص: 51.
(7): المصدر نفسه، ص: 51.

فراح الوجود يضج لهيبا بعيد الســـــراب

على الكائنات يلوح غضوب جلال العقاب (1)

فيرى الكون ضيق المجال لأنه لم يصل إلى حلمه، فيغضب وتغضب معه الطبيعة، ويأتي بعدها العنوان (الطبيعة الغضبى) (2) لتجسد ألم الشاعر، وتعكس الواقع المر الذي خلفه الألم في القلب مما جعله يهديها إلى "الذين عاشوا في دنياهم عيشة الحقائق المعذبة لا يحد لها مدى، ولا يدرك منها صدى" (3) يقول:

فإن ضاق المجال هنا فعندي

رياض الخلد واسعة المجال (4)

والحقيقة أن الشاعر يصور واقع شعبه قبل أن يصور واقعه، ومن هنا يمكن أن نقول أن: "سر جمالية الشعر عنده تبعث من هذا الانصهار، وهذا الالتحام بالواقع المعاش رغم بعض النفحات الرومانسية التي تطفو على سطح العمل الإبداعي ولا شيء لواقعيته" (5)، رغم مرارتها، غير أنه دائما يبحث عن الصفاء والنقاء.

يشـــع الخير في كنه الجلال

غسلت الفجر بالطلل الندى (6)

ويبقى بحثه عن الجمال بحث عن نشوة للروح، فيأتي عنوان (نشوة الروح) (7)، ولا تلبث تلك تلك الفرحة أن تطفئ حينما يأتي العنوان الموالي (نغم الوداع) (8)، ثم يعود إلى الجمال مرة أخرى تحت تحت عنوان (الجمال الحالم)(1)، لتمتزج الألوان كلها مع بعضها في البداية.

(1): المصدر نفسه، ص: 51.
(2): المصدر نفسه، ص: 53.
(3): المصدر نفسه، ص: 53.
(4): المصدر نفسه، ص: 53.
(5): أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيدة، تأملات وخواطر حول الشعر، ص:88.
(6): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:54.
(7): المصدر نفسه، ص: 59.
(8): المصدر نفسه، ص: 61.

أضفى الوجود مداك في الألوان

....

شعرية القسمات والألـــــوان

تتموج الأحلام عن تمثالــــــه (2)

ويستمر الحلم ويظل الأمل قائما، وتأتي العناوين (هزار الشعر) (3)، (يا غريد) (4)، (نجوى العبقرية)(5)، كلها تناشد هذا الحلم الضائع، وتبحث عن الأمل، عن النور، وعن اللون الأخضر، فجلال الخلد هو جلال للزمن الأخضر لأن الخلد هو الجنة والجنة هي اللون الأخضر:

يا حبذا العيش في فردوسه رغدا

تنسم العطر من جناته جذلا

والثم مراشف محيي القلب قاتله (6)

فيبرز هنا البعد الديني للعنوان والذي يحيل إلى بعد اللون الأخضر الذي هو لون الجنة، قال تعالى: ﴿**متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان**﴾ (7)

فإن كان هناك لون أفضل من اللون الأخضر لاختاره الله عز وجل، ولذلك فالشاعر مولع باللون الأخضر لأنه يدرك أنه يرمز إلى النعيم والجنة، وحبه له يعكس شخصيته لأن "للون القدرة على إحداث تأثيرات نفسية على الإنسان إذ لديه القدر على الكشف عن شخصية الإنسان، وذلك

---

(1): المصدر نفسه، ص: 65.
(2): المصدر نفسه، ص: 66- 67.
(3): المصدر نفسه، ص: 69.
(4): المصدر نفسه، ص: 73.
(5): المصدر نفسه، ص: 75.
(6): المصدر نفسه، ص: 80.
(7): الرحمان/76.

لأن كل لون من الألوان مرتبط بمفهومات معينة، ويملك دلالات خاصة، وعن طريق اختيار الألوان يمكن تحليل الشخصية تحليلا يتضمن تقويم القدرات، وبيان الحالات العاطفية والفكرية" [1]، ولذلك تنعكس شخصية الشاعر في أبعاد ودلالات اللون الأخضر، لأن اللون بصمة تشي بفرادة سيميولوجية، تشرئب نحوها الأبصار، فتتولد منها الدلالات، وتتناسل التصورات، وتتابع الأحداث مستشرفة رؤى وإيحاءات إنسانية تستوقف الفكر وتدهشه [2]، وهذا ما انعكس بوضوح في عنوان (جلال الخلد)[3]، الذي أهداه الشاعر إلى "الذين يقطفون ورد الأمل من أشواك البؤس والأشجان ويستعذبون كأس الحب وهي سم زعاف، وسيترجون النعيم من نفحات الخلود ..." [4]، فحينما يقطف الورد من أشواك البؤس يولد اللون الأخضر من الاصفرار والجفاء، ولذلك حتى الإهداء يعكس اللون الأخضر في هذه القصيدة ...

ويستمر الحلم الأخضر، وتتوالى العناوين حاملة أبعاد اللون الأخضر الدينية والتاريخية والاجتماعية والثقافية... راسمة مسارا للزمن بكل دلالاته، فشكلت بهذا "دلائل مزدوجة تقدم للنص الذي تعنونه وتحيل إلى نص آخر، وبهذه الطريقة توجه العناوين قارئها إلى مكان الدلالة الحقيقي للقصيدة كما هو الحال في مختلف عناوين الديوان [5]، الموالية مثل (أغاريد الجمال) [6]، الذي يصرح يصرح فيها بأبعاد الزمن الأخضر الدينية والفنية والطبيعية.

طبيعة الحسن خضراء مقدسة

وللجمال زهور ذات توريد

وللربيع إذا شعت مباهجه

على الوجود سمو غير معدود

كأنما الكون جنات موشية

(1): عن النهار، الخميس 20 حزيران 2002.
(2): ينظر: مليح مرد، الإنسان والألوان، ضفاف الإبداع، مجلة إلكترونية، ص:01
WWW.CDocuments. Settings
(3): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:79.
(4): المصدر نفسه، ص: 79.
(5): ينظر: نسيمة بن عباس، إستراتيجية العنونة عند محمود درويش مقاربة سيميائية،2001/ 2001، ص: 141.
(6): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:87.

ألوانها ذات تحسين وتجويد (1)

إن شعرية عنوان أغاريد الجمال، تصور روعة الزمن الأخضر حينما تكون الطبيعة زاهية خضراء مقدسة ويبرز جمالها أكثر عندما تزين بورود، وتمتزج الألوان فيها فتتشكل صورة تثير الدهشة والانبهار، لأن اللون ظاهرة من النور أو الإدراك البصري الذي يمكن من خلاله التمييز بين الأشياء، ولا شك أن الإنسان الأول ميز الألوان، وتنبه إلى طبيعة اللون الأخضر الذي يلون الأرض، وربط هذا اللون بالزمان والحياة وبخاصة في فصل النماء والخصب (2).

ولذلك يتغنى الشاعر بهذا الربيع قائلا:

لكن بذرة الربيع

قد برعمت وهللت للنور

وجمعت من حولها الصدور

وارقصت بالحب كل قلب

فطالما تأخر الميلاد

....

وطالما تعطشت قلوبنا للحب

لكنها لم تنزف الجراح

....

واقسم العملاق أن يكون

أو لا يكون

تمزقت أوهام الأمس

(1): المصدر نفسه، ص: 87.
(2): ينظر: أحمد مختار عمر، اللغة والألوان، ص:21.

وانجلى الضباب

وعاد من ضياعه إنساننا المفقود

وبشرت بمولد المصير الحر [1]...

[1]: أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:357.

هكذا يتحول اللون الأخضر إلى عودة إيليس ملحمة الأوديسا [*]، وبهذا يتماهى العنوان الأصلي مع العناوين الفرعية وتبدو الثورة واضحة فيه حين يخاطب الشاعر الثائر بقوله:

أنت الأمل الأخضر

والشعب إرادة قيصر

لم يفشل لم يخضع

لا تركع !

يابن الأوراس الحر

رمز نظالي المر

أنت أنا في كل مكان

....

نحن إرادة وطن (1)

ولا يملك الشاعر في آخر الديوان إلا أن يكشف لنا هذا الرمز الذي يوحي بالزمن الأخضر، فإذا هو حب وحنين وإذا هو الماضي والتاريخ والزمن الضحوك والربيع يقول:

على البعد والقرب أنت الرضا والهوى

وأنت النظار وأنت اللجين

أحبك يا قرة للفؤاد ويا فرحة الوالدين

أحبك أنت الزمان الضحوك

وأنت الربيع الذي لا يحول (2)

(*): ملحمة يونانية تتحدث عن عودة إيليس بعد ضياعه في البحر وأسره من قبل إلهات البحر، واسترجاع ملكه وعودته إلى زوجته وأبنائه.
(1): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:365- 366.
(2): المصدر نفسه، ص: 377.

وهكذا فإن العنوان هاجس مركزي يحيل إلى العناوين الأخرى بنبض إنساني ديني واقعي حياتي، مما يدل على أن أبا القاسم سعد الله استطاع أن يولد من عنوانه الأصلي عناوين فرعية وجعلها تتناسل مع بعضها البعض وتتقاطع في المعنى وفي اللون وفي مستويات كثيرة، مما يدل على أن هذا العنوان هو الهاجس المركزي لمجموعته الشعرية.

أ- تمهيد

مما لا شك فيه أن العمل الفني لا يكشف عن هويته لأي كان، مما يتعين على القارئ الإحاطة به من جميع الجوانب لاستنطاقه وافتكاك رموزه، وحل شفراته لإزاحة الستار عن بعض أسراره حتى لا تفقد القصيدة عنصر التواصل، ولذلك نجد النقاد يلجؤون إلى النظر في كل ما يمس العمل الأدبي من قريب أو بعيد للوصول إلى العمق الفني للإبداع على اعتبار أن "الفن مجموعة من المبادئ العامة الحقيقية، النافعة، المتوافقة التي تؤدي في جملتها إلى تحقيق غاية واحدة بعينها" (1)، والتي تمثل هدف القارئ الذي يسعى إلى تصوير ذلك الصراع الذي يجسده العمل الفني والذي "يجب أن يكون تاما مكتملا بذاته، له بداية ووسط ونهاية، وله طول معلوم مما يمكن النظر من الإحاطة به وأن تكون جميع عناصر العمل الفني متناغمة وساعتها يتولد الجمال" (2)، هذا الجمال الذي هو حلم الشاعر أبي القاسم سعد الله في ديوانه الزمن الأخضر، والذي يحاول القارئ الوصول إليه للتمتع بجمال الاخضرار، وللوصول إلى هذه المتعة الفنية سنحاول الإحاطة بسياجات هذا الديوان من مقدمات وإهداءات محاولين استنطاقها وربطها بالعنوان الرئيسي، وقبل ذلك نتوقف وقفة قصيرة بين يدي الديوان.

ب- الديـــــوان :

إن ما يتميز به الشاعر من شاعرية مبدعة انعكست بوضوح في ديوانه "الزمن الأخضر" الذي يعتبر مظهرا فنيا ومكسبا فكريا ينير الفضاء أينما وضع، فقد جاءت قصائده خافقة بنبضات الشاعر، ناطقة بأفكاره وموحية بواقعه الذي ينسكب دافئا من روحه فتتألق التجربة، وتلتهب العاطفة، ويثور الخيال، وتتحرك الموسيقى، ويوحي اللفظ، ويهتز الأسلوب، وينسخ من ذلك فن رفيع تنفخ فيه روح الشاعر كل قوى الجمال والمتعة والإثارة والتأثير (3).

فإذا بنا نقف مبهورين أمام روعة الإبداع وجمال الإيقاع وإذا باللون الأخضر يملأ النفس اطمئنانا وينيرها بشعاع الأمل لترى الكون فسيح المجال جميل الاخضرار، فيمتد طيفه إلى الماضي

(1): بركات محمد مراد، الفن والجمال بين التراث العربي والرؤية الغربية، مجلة تعني بالتراث وقضاياه، ع1، م ج 6، شوال 1423، ديسمبر 2002، ص: 289.
(2): المرجع نفسه، ص: 292.
(3): أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار البعث، دمشق، سوريا، د.ط ، تشرين،2004، ص: 100.

ليجعه بالحاضر لينغرس فيه حب الحياة التي انعكست بوضوح ضمن صفحات أقامت للشعر الحقيقي فضاء اختلطت فيه الأصوات، وتعالت فيه التقاليد.

لتبرز سمة الحداثة لامعة في قصائده التي تنتمي للشعر الحر، والتي يقف القارئ أمامها لمواجهة تحديات الحداثة أو الغموض، ليحس حينها بقيمتها الجمالية والإبداعية عندما يجد نفسه منهكا في البحث عن مضامينها الفكرية.

وقارئ الديوان يلمس بوضوح محاوره الأساسية التي أشار إليها الشاعر في مقدمة الديوان التي تعتبر عتبه مهمة لا يمكن تجاوزها على الإطلاق، لما تقدمه من شروحات وتحله من ألغاز وتبوح به من أسرار حول الديوان، كما نلمس في الديوان محاوره الأساسية التي أدار عليها الشاعر قصائده وأودعها رؤاه الفكرية التي انصبت في معظمها ضمن "محور الوطن" من خلال أضخم مآسيه التي ضربت بآلامها بعمق في نفس الشاعر، فانعكس لهيبها في العديد من قصائده وامتد إلى العنوان ليجسد أمل الشاعر في غد واعد، دون أن ننسى دور المقدمات الخاصة، والإحالات والإهداءات والتواريخ التي أنارت طريق القارئ والتي كانت بمثابة شموع تنير الطريق أمام كل قصيدة في الديوان، ونجد محور الحب وما ينطوي عليه من أحاسيس ومشاعر وما صاحبها من معاناة استأثرت قسطا وجيزا من قصائد الديوان، وأرسلت هي الأخرى شعاعا من الأمل امتد طيفه إلى عنوان الديوان أملا في غد أخضر مشرق، كما نجد "محور العلاقات الخاصة" التي جسد فيها بعض انتماءاته الخاصة ضمن قصائد مختلفة نذكر منها مرثاته لابن باديس "نجوى العبقرية" [1]، ومشاركته للشاعر محمد العيد آل خليفة في "هزاز الشعر" [2]، مما يكسب الديوان بعدا موضوعيا وإيديولوجيا ويجعله مكسبا فكريا ومرجعا فنيا لا يستهان به؛ لأنه يمثل ثمرة تجربة عايشها الشاعر بكل صدق وإحساس طيلة عشر سنوات [3]، فكان شعرا دافئا يترف حينا ألما لمرارة الواقع، ويرقص أحيانا فرحا بلذة الحياة، وفي كل مرة كان عبارة عن "فيوضات في لحظات التوق إلى الأجمل والأكمل بروح مرهفة" [4]، فكان إذا توقا إلى الأفضل لتنسكب المشاعر لتسيل برفق في شعر يرمي إلى غد أفضل، وهذا ما يعكسه عنوان الديوان "الزمن الأخضر" الذي ألفه مؤخرا سنة 1984 فجمع فيه كل أشعاره التي نظمت وكتبت في الجزائر،

(1): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:75.
(2): المصدر نفسه، ص: 69.
(3): عبد الكريم شيرو، التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، ص:55.
(4): عبد السلام ضيف، الكتابة الأدبية عند أبي القاسم سعد الله، ص:48.

القاهرة، تونس وأمريكا، سواء أكانت مجملة في المجموعتين الشعريتين أم متفرقة في مخطوطات لم تنشر.

أما بالنسبة للموضوعات التي أدار عليها الشاعر عناوين قصائده والتي احتواها الديوان بين دفتيه فيمكن أن نجملها في النقاط التالية:

- قصائد رومانسية في الحب والجمال والشباب.

- قصائد تمثل تجارب الحب.

- قصائد تصف الثورة وتجسد نضال الشعب في حب وطنه.

- قصائد تتميز بالغربة والحنين إلى الوطن.

- قصائد تناولت موضوعات متنوعة.

وإذا تصفحنا عناوين القصائد فإننا نجدها تتوافق وتنسجم مع هذه الموضوعات، ويمكن توضيح ذلك من خلال بعض النماذج الآتية:

- قصائد رومانسية: نشوة الروح [1]، أغاريد الجمال [2]، الجمال الحالم [3]، لا تغربي [4]، نجمة الغروب[5]، سنلتقي[6]،...
- قصائد تمثل تجارب الحب: الشفى الولهى، الحزن، الليل والجرح.
- قصائد تصف الثورة وتجسد نضال الشعب: ليلة الرصاص، يا بلادي، النصر للشعب، وطني، الجزائر تتكلم، أوراس، الثأر الأسير، كفاح إلى النهاية، شعب الله.
- قصائد تتميز بالغربة والحنين إلى الوطن: وطني، في غابة البشر، شك، ورق، بحيرة الحزن، ليل وشوق، ...

([1]): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:59.
([2]): المصدر نفسه، ص:87.
([3]): المصدر نفسه، ص: 65.
([4]): المصدر نفسه، ص:321.
([5]): المصدر نفسه، ص: 359.
([6]): المصدر نفسه، ص: 317.

- قصائد متنوعة الموضوعات: نجوى العبقرية، لغتي، ذكرى ابن باديس، هزاز الشعر، الخائن، قدوة الأحرار.

وقد كانت هذه القصائد كلها معبرة عن التزام الشاعر بالقضايا المصيرية لوطنه ومعبرة عن اتساع الجرح الوطني وملتهبة بنيران الغيرة على الوطن، لذلك فقد جاءت معظمها في الديوان نضالية ثورية وطنية تشكل النسبة الأكبر في الديوان.

وقد كان الأمل دائما يساوره في أن الأجيال القادمة ستضمد هذا الجرح المتعفن، ويبرز جيل يرجع للجزائر كرامتها المفقودة وكبرياءها الضائع أمام دناءة العدو، مؤمنا أن هناك زمن اخضر ينتظر هذا الوطن العزيز.

كما أن بقية القصائد لا تقل عمقا وخاصة من الناحية الفنية إذ أن "الزمن الأخضر" يحتوي قصائد عمودية متنوعة القوافي، ويظل العدد الأكبر منها متمثلا في شعر التفعيلية.

ومهما حاولنا الولوج إلى روائع هذا الديوان، فإننا نبقى دائما مبهورين أمام جودة الإنتاج وروعة الإلهام وكل ذلك يتضح من خلال مقدمات أبوا القاسم سعد الله في هذا الديوان.

أولا: المقدمات:

تعتبر المقدمة جزءا مهما لا يمكن الاستهانة به في العمل الفني، لأنها تلعب دورا كبيرا في إنارة طريق القارئ من خلال ما تحمله من "تصورات وتنبيهات تتخذ نبراسا لفهم مقاصد صاحب الكتاب"[1] وبالتالي تساعد على إزالة جزء كبير من الغموض الذي يصاحب في كثير من الأحيان العمل الأدبي، ولذلك سنحاول تسليط الضوء على هذه العتبة المهمة في ديوان "الزمن الأخضر"، محاولين توضيح دورها الفعال في تيسير عمل القارئ متخذينها وسيلة مهمة في الكشف عن أسرار الديوان، وسنبدأ الدراسة أولا بالمقدمة العامة للديوان تليها بقية المقدمات الخاصة ببعض القصائد رابطينها بالعنوان الرئيسي، وقبل كل ذلك نقف وقفة قصيرة نبين فيها مفهوم المقدمة لغة واصطلاحا.

([1]): عباس أرحيلة، مقدمة الكتاب في اللغة والإصطلاح، مجلة جذور، ج11، م ج 6، شوال 1423، ديسمبر 2002، ص: 320.

أ/ تعريف المقدمة لغة:

مادة "قدم" و"قَدَم" في المعجم العربي تفيد معنى السبق والأولوية، وترجع تراكيبها إلى معنى الأولوية.

وقيدوم كل شيء: مقدمه وصدره، وقدام: نقيض وراء. قدم قدما شجع، فهو مقدام، والإقدام هو التقدم في الحرب والإقدام: الشجاعة في الحرب، والقدم من الرجال: الكثير الإقدام، ورجل مقدام: كثير الإقدام على العدو، جريء في الحرب، والقُدمةُ: كثرة الإقدام على العدو في الحرب، والقُدَّام: من يتقدم بالشرف أو الرياسة، والقوادم أربع ريشات في مقدم الجناح، الواحدة قادمة، والقَدَمَة الشجاعة، والقَدَمَةُ من الغنم: التي تكون أمام الغنم في الرعي [(1)].

وفي التنزيل العزيز: ﴿**وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم**﴾ [(2)]، أي سابق خير وأثرا وحسنا، والمراد أن لهم قدم صدق في الخير، أي أن لهم عملا صالحا قدموه، والقدم هنا بمعنى التقديم، كما نقول: هؤلاء أهل القدم في الإسلام، أي الذين قدموا خيرا، فكان لهم فيه تقديم [(3)].

"والمُقَدِمُ والمُؤَخِرُ من أسماء الله الحسنى المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد منها بمفرده على الله إلا مقرونا بالآخر، فإن الكمال في اجتماعهما، فهو تعالى المقدم لمن شاء والمؤخر لمن شاء بحكمته، وأنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقديم بحر لا ساحل له" [(4)].

وهكذا يمكن أن نعتبر أن الكتاب جيش ومقدمته تلك الطائفة من الكلمات التي بها يتجاسر على المقصود بها يتقدم إلى القارئ، وكأن هذا القارئ يشاهد معركة يصبح طرفا فيها وتصبح تلك المقدمة في الآن ذاته وسيلة عبور إلى الكتاب أو الإبداع الأدبي [(5)].

وهكذا فإن كل اسم يبتدئ به نسميه مقدمة وخلاصة القول إن المقدمة أطلقت في بادئ الأمر على تلك الجماعة التي تتقدم البيت، ثم استعيرت لتطلق على أول كل شيء، ولذلك قيل عن مقدمة

(1): اللسان [قدم]
(2): يونس/ 02
(3): الأخفش: معاني القرآن: 1/ 369 نقلا عن المرجع السابق، ص: 315.
(4): سعيد بن علي بن رهف القحطاني: شرح أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة، ط5، الرياض، مؤسسة الجريسي، نقلا عن مجلة جذور، ص: 315.
(5): ينظر: عباس أرحيلة، مقدمة الكتاب في اللغة والإصطلاح، ص:317.

الكتاب، وارتبطت هذه الأخيرة عامة بالتأليف، فارتبطت ببداية الكتاب "فأصبحت علامة لها موقعها ووظيفتها، ينتفع بها وتفتقد إن غابت"[1] لأنها تلعب دورا كبيرا في العمل الفني.

ب/ المقدمة في الاصطلاح:

إن للمقدمة دور استراتيجي حاسم وهام؛ لكونها انفتاح على المضمون الأدبي، كما أنها تحقق بعدا فكريا على الكون التخيلي، ووجودها ضروري في كل خطاب بشري، "ووظيفتها أن تقدم ما ينتفع به في فهم الكتاب، وما يستعان به على تبصرة القارئ وتوجيهه" [2]، أي أنها تساعد القارئ على الإطلاع على أهمية الكتاب ومقاصد صاحبه فيه، مما يجعل القارئ على بينة من الكتاب، وبالتالي ينتفع من تلك المقدمة في وضع الكتاب في إطاره المعرفي، وسياقه التاريخي، وتحديد مضامينه [3]، ومن هنا يمكن اعتبارها "بطاقة التعريف باختصار، ذلك أنها تشكل السياق الذي تقرأ القصيد من خلالها، وهي مشهد تعود عليه القارئ العربي الحديث..." [4]، وقد اعتبرها جنيت (Genette) من المكونات الأساسية للنص الموازي، فهي عبارة عن عتبة تدخل بها إلى أعماق النص وفضاءاته الرمزية المتشابكة[5] التي تلعب المقدمة دورا كبيرا في حل ألغازها، لأنها محملة بشحنات لنصوص لاحقة، فهي فهي عملية استجماع وبداية انطلاق [6]، للوصول إلى المغزى من العمل الفني، لذلك تحمل في طياتها عنصر التشويق، لتبقى المتعة الجمالية تعتري القارئ إلى النهاية، ويصبح اللغز شعاعا موجها يصنع نقطة النهاية منذ البداية... [7]، وهي تمثل منزلة الرأس من الجسد كما يذهب إلى ذلك علي بن خلف حيث يقول: "فإن منزلة هذه المقدمات من كل كلام مؤلف منزلة الرأس من الجسد، والأساس من البناء، وكما أن الرأس يضم أعضاء الجسد ويرأسها، كذلك المقدمة التي يقدمها المنشئ في صدر كلامه تضم ما تتبعه ويقع في ضمنه، وكما الباني لابد له من وضع أساس لما يبنيه يعتمد عليه ويستند

---

(1): المرجع نفسه، ص: 318.
(2): المرجع نفسه، ص: 319.
(3): ينظر: المرجع نفسه، ص: 320.
(4): هند سعدوني، قراءة سيميائية مدينتي، منشورات النادي الأدبي، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر2001، ص: 168.
(5): المرجع نفسه، ص: 169.
(6): ينظر: شادية شقروش، الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح لــعبد الله العشي، دراسة سيميائية، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في نظرية الأدب والنقد الأدبي، السنة الجامعية2001/ 2002، ص: 58.
(7): المرجع نفسه، ص: 61.

إليه، كذلك مؤلف الكلام" لا يغني عن تقديم مقدمة يتطرق منها إلى ما يروم التأليف فيه، لأن كل كلام لا يخلو من فرش يفرش قبله غير داخل في حكم الكلام المنظوم" [1].

ولعل كل هذا يعطي صورة لأهمية المقدمة في العمل الإبداعي، كما يبين قيمتها العلمية والفنية في تثمين الجمال الفني، ولعل هذا ما أدركه أبوا القاسم سعد الله؛ لأنه أعطى لمقدماته في مختلف أعماله الأدبية والشعرية الأهمية التي تستحقها، فجاءت على نحو وجه سبيل القارئ وهداه إلى القراءة الفعالة، وهذا ما سنحاول توضيحه من خلال دراسة المقدمة في ديوان الزمن الأخضر.

1- المقدمة في ديوان الزمن الأخضر:

إن المقدمات عند أبي القاسم سعد الله عبارة عن مفاتيح للقراءة، وضرب من التوجيه إلى أبعاد هذا الشعر وآفاقه، وتبيان لتجربته، ولذلك فهو يحاول أن يعطي هذه المفاتيح للقارئ كي يلج نصوصه عن طريق هذه الإشارات والمعالم في الطريق لكي لا يقرأ ديوانه معزولا عن التجربة وعن الظروف التي قيلت فيها هذه القصائد، وهذا لون من ألوان تأمين عمله الشعري، لأن أبا القاسم سعد الله يضع في حسبانه سياجات النص، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو يحاول أن يكون موضوعيا في هذه المقدمات.

كما تكشف لنا هذه المقدمات مسيرة الشاعر العملية والإبداعية وتصلنا بمنابع إبداعاته مما يحقق فائدة مرجوة عند القارئ، بل مما يكسب النص حيويته ويقربه إلى الجماهير، وهذا يحقق ما يصبو إليه المبدع، وهو في هذه المقدمة كشف لنا عن زمن هذه القصائد والتي تمتد من 1950- 1960 وهي زمن العشرينات من عمره، وزمن الشباب بالنسبة للثورة الجزائرية [2]، كما كشف لنا موقف الشاعر من بنات أفكاره، ويرسم لنا مسيرة هذه القصائد وكيفية ترتيب هذا الشعر سواء من الناحية التاريخية أو المضمونية أو الإبداعية [3].

وفي الوقت نفسه يحاول أن ينبه القارئ إلى ضياع الكثير من شعره لسبب أو لآخر، وضعفه في بعض المواطن سواء من الناحية الفنية أو من الناحية العروضية [4]، ثم يكشف لنا هذا الانتماء في الشعر

[1]: مواد البيان، ص: 119- 120 نقلا عن مجلة جذور، ص: 320.
[2]: ينظر: أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:07.
[3]: المصدر نفسه، ص: 11.
[4]: ينظر: المصدر نفسه ، ص:13- 14.

الشعر إلى جيل محمد العيد وابن باديس والإبراهيمي، وهو جيل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جيل الاخضرار في الجزائر، اخضرار الفكرة، واخضرار الإصلاح في أرض الجزائر، وما نتج عنه في هذه الرقعة الجغرافية، ثم يحاول أن يشير إلى قضية التجديد في الشعر، ويضع قصيدة (غيوم) [1]، هي مفتاح هذا التجديد، وهذا التحول من الناحية الفنية والموضوعية، هذه القصيدة التي يقول فيها:

سوف نغدو كالحياة

عبر هاتيك الحقول

نطأ العشب النديم وسوانا في ذهول[2]

ذهول[2]

هذا المقطع الاستهلالي الذي يعتبر مقدمة لهذا النص، ولازمة تتكرر بالعدد السحري رقم (03) الذي يوحي بأسطورية هذا التصور ودخول الشاعر إلى حرم الشعر الحديث برؤية جديدة متجددة، وبإهداء جديد وكأنه يتخلص من ماضي الاستعمار، فكان الإهداء إلى عشاق الدم، وكان المكان في تونس الخضراء، وكان التاريخ هو تاريخ انطلاق الثورة الجزائرية، وكان نشر هذه القصيدة في جريدة جمعية العلماء البصائر في شهر النماء وتفتح أزهار الحياة (مارس 1954) [3].

ولعل كل هذه عبارة عن إضاءات للمتن ولسمات هذا الشعر ووقائعه وإبعادا له عن تلك التمويهات أو بعض التأويلات على مستوى الأحداث وفضاءات النص، وبذلك تكون المقدمة الأصلية العامة حدثا ابتدائيا تأسيسيا يحفظ النص من التحول والتغير ويعطيه مركزية الدلالة، فيكون موازيا من هذه الناحية للعنوان الأصلي "الزمن الأخضر" فيلتقيان جميعا في الذات والموضوع أي بذاتية الشاعر وشبابه وموضوعية الثورة الجزائرية التي تلازمه في معظم قصائد الديوان، إذ أنه "لا يخرج عن الوجدانيات والثوريات إلا قليلا"[4]، كما يلتقيان في المضمون الذي يعبر عن زمنين أخضرين للشاعر، للشاعر، عهد شبابه وعهد الثورة التي هي شباب الجزائر [5]، كما أن انفتاحهما على بعض يعكس جمال الزمن الأخضر الذي يحلم به الشاعر ويتمنى الوصول إليه، كما أن الشاعر في مقدمته هذه يعلن

([1]): المصدر نفسه، ص: 95.
([2]): المصدر نفسه، ص: 95.
([3]): ينظر: المصدر نفسه، ص: 97.
([4]): المصدر نفسه ، ص: 11.
([5]): المصدر نفسه، ص: 07.

عن نقطة السر في هذا الديوان، وهي الإنطلاق من الداخل انطلاقا من حياته الشخصية، يحاول أن يرسم طريق العالم فيقول: "وهكذا انصهرت في هذا الشعر عاطفتان شابتان مشبوبتان لا تكادان تنفصلان: العاطفة الذاتية والعاطفة الوطنية" (1).

كما أنه يعلن أن ما قاله من شعر بعد سنة 1960 لا يعدو أن يكون نفثات نزفها القلم تعبيرا عن ثورة مكبوتة ضد الاستبداد والطغيان أو فرحة عارمة أو حزن مكتوم أو أمل طائر (2)...

دون أن يهمل أبوا القاسم سعد الله دور الشعر والشاعر في الحياة ليصور أهميتهما في حمل هموم الإنسان، لأن الشاعر هو "ذلك الفكر الهائل وذلك الوجدان الملتهب الذي يفجر كل ما عنده من أجل الإنسان..." (3)، ولذلك فشاعرنا يتخذ موقفا سلبيا من الشاعر الذي يتنكر لعهد الصبا والشباب، ويرمي بشعره في القبر، أو يجعله طعاما للنيران (4)، فيقول متسائلا: "فلماذا يبتر أحدنا الحياة فيجعلها مقتصرة على مرحلة واحدة هي ما يعتقده مرحلة التوبة؟" (5) ويعكس هذا السؤال دور المقدمة في إبراز موقف الشاعر تجاه بعض الشعراء مما يصور نظرته التي تبرز في الديوان، وبذلك تسهل من مهمة القارئ الذي يبحث عن الإخضرار وسط الإصفرار... ومن هنا فإن أبا القاسم سعد الله يتحرك في هذه المقدمة نحو توجيه القارئ والمتلقي إلى البصمات الرئيسية في الديوان والتي تحيلنا إلى زمانها ومكانها، وبذلك نكتشف قصدية الكاتب و"بهذه الطريقة جعلنا الأديب نعيش فعلا هذه الأحداث، كما جعلنا نعيدها إلى واقعها الفني والأدبي لأن الأثر الفني وليد بيئته وواقعه، وفي غياب هذا التلاحم فإن الأدب مفارقة تنقلنا من حالة إلى حالة أخرى دون أن يثير فينا أية رغبة" (6) سواء في في قراءاته أو في نقده ...

كما أن أبا القاسم سعد الله في مقدمته يحاول أن ينير الطريق أمام القارئ لتوعيته بأهمية الشعر في خدمة الإنسانية، ويحذر من العواقب السيئة حينما يتحفظ الشاعر عن نشر شعره خوفا من الإساءة

(1): المصدر نفسه، ص: 07.
(2): ينظر: المصدر نفسه، ص: 07.
(3): أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيدة، ص:106.
(4): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:07.
(5) : المصدر نفسه، ص : 09.
(6): عبد السلام ضيف، الكتابة الأدبية عند أبي القاسم سعد الله، ص:245.

إليه مع الناس "وهكذا يحرم قوم الشاعر ووطنه من تجربته التي قد تكون من أعظم التجارب الإنسانية..." [1].

ثم يطمئن الشاعر القارئ أنه -والحمد لله- ليس من أولئك الشعراء لأنه يؤمن "بأن الحياة أطوار، وأن العمر أعمار، وأن كل يوم فيه له قيمة ثمينة يجب المحافظة عليها، ولو كانت في نظرنا، أحيانا تافهة" [2] مما يثمن القيمة الإبداعية للعمل الفني ويعكس آفاقا واسعة بالنسبة للقارئ رغم أن الشاعر يعترف أن شعره "ليس في مستوى واحد من الجودة والإتقان، ففي بعضه لفظية متناهية، وفي بعضه بساطة قد تكون مسفة، وفي بعضه أخيلة وصور تتكسر دون أجنحة الفهم، بل إن في بعضه تضحية بقواعد العروض ولكننا مع ذلك... تركناه بدماء ولادته، ليعبر عن ملامح صاحبه وحقيقته"[3]، مما يوسع في آفاق نظر القارئ وييسر له الطريق أمام هذا العمل الإبداعي، وتبرز هاهن ا الأهمية العظمى للمقدمة في الأعمال الأدبية إذ إنها بالنسبة للقارئ معلما يستطيع من خلاله إيجاد الشموع أو الشمعة التي تنير له درب القراءة" [4]، وهذا ما أدركه أبو القاسم سعد الله، ولذلك أولى مقدماته في أعماله الفنية الأهمية التي تستحقها والتي تجعل القارئ يرتبط بالعمل الفني بشكل مباشر "فتكشف عن مضمونه وأهميته وغاية صاحبه، وعن نظرة مؤلفة لمشروعه في إطار مجاله"[5] الذي يدور يدور حوله القارئ.

كما توضح لنا مقدمة الديوان الاستراتيجية التي رتب بها الشاعر شعره، ومحاولاته في ترتيبه موضوعيا وأقساما أو زمنيا بدأ بأول قصيدة وجدها الشاعر إلى آخر قطعة قالها، مما يساعد القارئ على تخطي العديد من الصعاب التي يمكن أن تواجهه كما تنير طريقه في الدراسة، وتضيء له بعض ما قد يراه مظلما؛ لأنها تحمل للقارئ إفادات وتوجيهات، يستطيع من خلالها أن يضع الشاعر في إطاره العلمي والتاريخي، ويقف على منهجه ومحتوياته، ويعرف بها مكانة مؤلفه [6].

كما تضيء هذه المقدمة الجانب الزمني في ترتيب القصائد في الديوان، بحيث يقول أبوا القاسم سعد الله: "وقد حاولت أن أذكر لكل قصيدة أو قطعة تاريخها في نهايتها، فإذا كنت غير متأكد

---

(1): ينظر: أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:10.
(2): المصدر نفسه، ص: 10.
(3): المصدر نفسه، ص: 11.
(4): عبد السلام ضيف، الكتاب الأدبية عند أبي القاسم سعد الله، ص:247.
(5): عباس أرحيلة، مقدمة الكتاب في اللغة والإصطلاح، ص:322.
(6):المرجع نفسه، ص: 322.

وضعت علامة الاستفهام (؟) بعد التاريخ، وهي تعني حوالي" [1] مما يبعد القارئ عن الغموض ويسهل عليه ربط المؤثرات الخارجية بالعمل الإبداعي على نحو التقريب، فلا يؤول في طيش ما قد لا يكون، إذ ليست المقدمة منطقة توجيه فقط، بل هي مرجعا قارا بالنسبة للعمل الأدبي [2]، يمكن الرجوع إليه متى أحس القارئ بانسداد الأبواب أمامه، ثم يلفت الشاعر نظر القارئ على أمر يراه ضروريا وهو توقفه عن قرض الشعر موضحا الاحتمالات التي يراها سببا في ذلك كسفره إلى أمريكا وتخصصه في التاريخ، وتفرغه للأبحاث وتحضير الدروس وتعلم منهجية البحث فحيل بينه وبين الشعر، كما حيل بين المجنون وليلاه [3].

ويصرح الشاعر في مقدمته بأنه يعمل على مساعدة الناقد وإنارة طريقه قائلا: "ومهمتي هي مساعدة الناقد في تقديم المادة له واطلاعه على ظروف حياتي، وإيحاءات قصائدي ومراميها، ولذلك ذكرت، إلى جانب التواريخ، بعض الأخبار الإضافية عن دافع القصيدة وأحيانا مناسبتها وبعض التعاليق لتوضيح علم، ونحو ذلك، أما شرح الألفاظ وتوضيح المعاني فلم ألجأ إليه لأني لو فعلت ذلك لكنت "شارحا لشعري"[4]، فيبرز هاهنا دور المقدمة بصورة جد واضحة في تنوير عمل القارئ فتضعه فتضعه في الوضع المناسب لاستقبال الديوان [5] وبالتالي ربطه بمشروعه قصد فهمه بالطريقة الصحيحة للوصول إلى الإبداع الفني على اعتبار أن "للفن صبغة بنائية تجعل منه نشاطا خلاقا أو قدرة إبداعية وما دام الفن ليس تلقائية محضة بل تركيبا وبناء، فلابد لنا من أن نسلم بأن الإبداع الفني هو في صميمه مهارة فنية وإرادة مبدعة وعمل إنتاجي"[6] يهدف القارئ إلى الوصول إليه.

ويشير أبو القاسم سعد الله في نهاية مقدمته إلى قضية التجديد في الشعر، ليلفت نظر القارئ إلى هذه القضية المهمة مبينا أن هناك عوامل كثيرة جعلته يتخلص من الطريقة التقليدية في الشعر وذكر منها اتصاله بالإنتاج العربي القادم من الشرق –ولا سيما لبنان– واطلاعه على المذاهب الأدبية والمدارس الفكرية والنظريات النقدية [7] ولا شك أن إشارته إلى هذه النقطة تعتبر خطوة كبيرة تنير

---

(1): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:11.
(2): ينظر: أندري دي لنجو، في إنشائية الفواتح النصية، ترجمة سعاد إدريس تبيغ، مجلة نوافذ النادي الأدبي الثقافي، جدة، العدد10 شعبان 1420، ديسمبر 1989، ص: 36.
(3): ينظر: أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:13.
(4): المصدر نفسه، ص: 14.
(5):عباس أرحيلة، مقدمة الكتاب في اللغة والإصطلاح، ص:322.
(6):المرجع نفسه، ص: 298.
(7): أبو القاسم سعد الله: ديوان الزمن الأخضر، ص:16.

للقارئ طريقه الصحيح في العمل الإبداعي وتعكس آفاقا كثيرة للقراءة في الديوان، فيتحول الشاعر بذلك إلى "حداء يحدو القافلة ويحثها على السير ويبعث فيها النشاط والأمل" [1] من أجل الوصول إلى الإبداع الفني من جهة، وتحيق الإخضرار الذي يطمح إليه من جهة أخرى، مبينا أن "خلود الشاعر (ومن ثم خلود شعره) يتوقف على أمور تعتبر من أسرار الحياة" [2]، موضحا أن هذا الحلم غاية نبيلة يصعب الوصول إليها لأن "الطبيعة التي لم تعطنا سر الروح لم تعطنا أيضا سر الخلود، ولذلك كان علينا أن نعمل دائما... من أجل الخير والحب والجمال لعلنا نكون من الخالدين" [3]

ولعل كل هذا يعطي للقارئ صورة شاملة عن الفن والجمال عن أبي القاسم سعد الله، بل عن الحياة بكاملها، ويفتح أمامه آفاقا واسعة للتطلع على أسرار الإبداع الفني، لأن هذه المقدمة تحمل للقارئ إفادات وتوجيهات، يستطيع من خلالها أن يضع بها الديوان في إطاره العلمي والتاريخي، ويقف على منهجه ومحتوياته ويعرف بها مكانة مؤلفه [4]، ومن ثم يدرك قيمة هذا الإبداع الفني، وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للمقدمة العامة، فما هي معالم المقدمات الخاصة؟

2- المقدمات الخاصة:

تجدر بنا الإشارة هنا إلى أن ما درسناه حول المقدمة كان يعتبر دراسة للمقدمة العامة للديوان، وسنحاول دراسة بعض النماذج من المقدمات الخاصة المتعلقة ببعض القصائد في الديوان، مبينين علاقتها بالعنوان الرئيسي "الزمن الأخضر"، موضحين أثرها البالغ في إنارة النص الشعري وما تلعبه من إزالة للغموض فيه، فهي بمثابة ومضات خاطفة تنير الظلام الموجود في النص، وتفتح للقارئ آفاقا واسعة ليلج النص من بابه الصحيح.

وهي توجد في الديوان بنسبة 81,81 % من مجمل المقدمات الواردة في شعره ويمكننا أن نقسمها كما يلي:

أ- مقدمات ثورية:

(1): أم سهام (عمايرية بلال)، جول مع القصيدة، ص:51.
(2): أبوالقاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:17.
(3): المصدر نفسه، ص: 17.
(4): ينظر: مجلة جذور، ص:322.

مما لا شك فيه أن الثورة هي أكبر حدث عاشه الشاعر وتأثر به، ولذلك لا غرابة في انفجار التعبير الثوري في مختلف قصائده التي تعتبر دافعا خلاقا لكشف المخبأ وتحريك الساكن، ولمقاومة كل ماهو مزيف وجبان، ولذلك كان الشاعر "عنصرا حساسا نابضا في المجتمع لابد أن ينفعل إبداعه أمام المظاهر السلبية منها والإيجابية على السواء، معبرا عن رأيه وموقفه تجاهها، وهو موقف الإنسان المرتبط، لا الإنسان المنعزل عما يجري حوله" [1]، ولذلك فهو شاهد عيان في مجتمعه [2]، بلغت فيه فيه العواطف الصافية أوج الاستعداد للتفاني والعطاء فجاء شعره نابضا بالحياة ومشحونا بمؤثرات الاستعمار، وجاءت مقدماته ثورية مما يدل على أن الثورة هي النقطة المركزية لهذه المقدمات فجاءت مقدمة "ليلة أول نوفمبر 1954[3]ضمن عنوان (الثورة) [4] ليبدو التكامل بينهما منذ أول نظرة، لأن لأن الثورة انطلقت في ليلة أول نوفمبر 1954، فكانت هذه الليلة حلما وشوقا يسري في الصدور، وكان بلوغ هذا الحلم رصاصا يدوي في يد الثائرين.

يقول:

كان حلما واختمار
كان لحنا في السنين
كان شوقا في الصدور
أن ترى الأرض تثور

....

غير أن الأرض ثارت
والهتافات تعالت
من رصاص الثائرين [5]

---

(1): نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، ص.ب1085، بيروت، ط 1، كانون الثاني (يناير) 1981، ص: 252.
(2): ينظر: المرجع نفسه، ص: 252.
(3): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص: 179.
(4): المصدر نفسه، ص: 179.
(5): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص: 179.

وكل ذلك يظهر جليا في المقدمة، فالشاعر قال "ليلة أول نوفمبر 1954"[1] والكل يدرك وزن وزن هذه الليلة عند كل جزائري؛ لأنها تمثل بحق زمنا أخضر يعكس القوة والشباب وحب الوطن والحياة، لأن الثورة هي الطريق إلى اللون الأخضر الذي هو رمزها ورمز القوة والشباب، فباتت الثورة حلم الجميع، وبات الجميع يساهم بطريقته وحسب مقدرته، وقد قال المناضل الإفريقي فرانس فانون: "لا يكفي أن ينظم الأديب أنشودة الثورة ليعتبر مساهما فيها، عليه أن يصنع الثورة مع الشعب، فتأتي الأناشيد بعد ذلك من تلقاء نفسها" [2]، وهذا ما حدث بالضبط مع أبي القاسم سعد الله إذ جاءت أناشيده من تلقاء نفسها بعد أن ثارت نفسه مع هذه الثورة.

يقول:

كان شوقا، كان لحنا، كان حلما
أن نرى الأرض تثور
غير أن الأفيون نارا في العيون
غير أن الليلة الغراء شفت عن بطولة
والند الحر قد هز الرجولة
والشتاء السادر المقرور قد عاد ضرام
والولاء الوافر المخدود قد عاد انتقام [3]
انتقام [3]

وهكذا يفهم القارئ ماهو موجود في قصيدة (الثورة) [4] بمجرد قراءة مقدمتها لأنه يدرك أن ليلة أول نوفمبر لا تخفى أحداثها على أحد، وتظل ذكرى هذه الليلة في أعماق الشاعر، راسخة في أفكاره، فيأتي عنوان (ليلة رصاص) [5] مباشرة بعد العنوان السابق، وتكون المقدمة التي اندرجت تحته تحته كما يلي:

([1]): المصدر نفسه، ص: 179.
([2]): من خطاب ألقاه فرانس فانون في المؤتمر الثاني للكتاب والفنانين الإفريقيين الذي عقد في روما سنة1959 عن Fanon les dannés P155 نقلا عن: نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير ص:253 .
([3]): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:180.
([4]): المصدر نفسه، ص: 179.
([5]): المصدر نفسه، ص: 181.

"كانت ليلة أول نوفمبر 1954 موعدا للثورة المسلحة في الجزائر، وكان اندلاعها في كامل القطر في لحظة واحدة مثار دهشة العالم أجمع، وهذه (صورة) للذكرى، ذكرى تلك الليلة العارمة التي رفعت فيها الجزائر العربية راية الكفاح العربي المسلح".[1]

إن الشاعر في هذه المقدمة يلفت نظر القارئ إلى أن ثورة أول نوفمبر 1954 أدهشت العالم أجمع، وربما هذه الإلتفاتة توحي بوزن الثورة وضخامة الحدث من جهة، وتوقظ في القارئ الشعور بأهمية هذه الليلة عند كل جزائري، ثم إنه يلفت النظر إلى أنها اندلعت في كامل القطر في لحظة واحدة، ولعل هذا يوحي بتماسك الشعب الجزائري وتكامله واتحاده مع بعضه في كامل أرجاء الوطن، ثم يخبر القارئ أن هذه القصيدة صورة للذكرى، فينير الطريق بذلك ويفسح مجالا واسعا للقراء، ويزيل الضباب لتتوضح هذه الصورة في هذه الذكرى الغالية، يقول:

وكان اختمار وكان ضباب

وكانت زلازل رغم المطر

وكانت قنابلنا قاصفات

وكان الرصاص يجيب القدر

وخضنا المدائن في لحظة

مطوقة بالردى والخطر

ونامت (فرنسا) على فوهة

معبأة بالدمار الأشر [2]

" يبدو أن القصيدة كتبت بمناسبة الذكرى الأولى للثورة"[3]، فالشاعر يشير إلى أنها كتبت في "القاهرة، 1955 (11 أكتوبر أو نوفمبر)".[4]

([1]): المصدر نفسه، ص: 181.
([2]): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:181.
([3]): المصدر نفسه، ص: 183.
([4]): المصدر نفسه، ص: 183.

إنها ذكرى الفخر والاعتزاز؛ لأن الجزائر العربية رفعت فيها راية الكفاح العربي المسلح [1]، وهذا ما تؤكده المقدمة لتوضح للقارئ ثقل هذه الليلة، وترسم له الطريق الصحيح إلى القصيدة، وهذا يعكس مهمة المقدمة، فهي "تؤدي دور المنبهات لذهن القارئ ... فهي أول جملة تقذف بالمتلقي في خبايا النص ..."[2] فتوسع أفق توقعه وفقا لطبيعة النص.

وهكذا تكون المقدمة ومضات خاطفة تسهل الطريق للغوص في النص، والشاعر يدرك قيمة هذه المقدمات، ولذلك أولاها الاهتمام اللائق بها، ويستمر في اهتمامه بالقضايا الوطنية والثورية، وتأتي بذلك مقدماته في هذا النوع من النصوص موافقة لتلك العناوين، فنجده في عنوان (عودة النسور)[3] يقول في مقدمته "حين عاد أحرار الجزائر من فرنسا للإشتراك في معركة التحرير" [4] ليوضح للقارئ أن النسور هم أحرار الجزائر الذين عادوا من فرنسا للإشتراك في معركة التحرير، وبالتالي يمكنه من الولوج إلى القصيدة من بابها الصحيح، ويأتي مباشرة بعد ذلك عنوان (المروحة) [5] الذي اندرجت تحته المقدمة التالية (أسطورة الاحتلال)[6].

إنها الأسطورة التي صنعت حدث الثورة وخلدت هذا الوطن، وهكذا ترسم هذه المقدمة في ذهن القارئ لمحة خاطفة حول قصة (المروحة) * بمجرد قراءة تلك المقدمة، مما يوحي بأهمية هذه المقدمات في إنارة طريق القارئ ورسم معالم السير فيه.

تلكم كانت بعض النماذج حول المقدمات الثورية في ديوان الزمن الأخضر، والتي كانت في معظمها تتوافق توافقا تاما مع عنوان القصيدة، كما تمد بطيفها إلى العنوان الرئيسي لتغذي اللون الأخضر بالشباب والثورة والقوة.

وسنحاول دراسة بعض النماذج من النوع الثاني لهذه المقدمات والذي يتمثل في الآتي:

ب- مقدمات ذاتية اجتماعية:

([1]): ينظر: المصدر نفسه، ص: 181.
([2]): شادية شقروش، الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح لعبد الله العشي، دراسة سيميائية، ص:59.
([3]): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص: 201.
([4]): المصدر نفسه، ص: 201.
([5]): المصدر نفسه، ص: 203.
([6]) : المصدر نفسه، ص : 203.
*: كانت هي سبب احتلال الجزائر من قبل فرنسا، إذ اتخذها القنصل الفرنسي ذريعة لاحتلال الجزائر بعدما ضرب بها من قبل داي الجزائر، كما هو مشهور في التاريخ.

إن الشعر هو الغوص الكلي في أعماق النفس البشرية المعذبة، ومن ثم فتح نافذة مشعة تنفذ منها أشعة الدفء والحرية [(1)] لتمس مختلف طبقات المجتمع، ذلك أن الشاعر أبا القاسم سعد الله لا يشخص المآسي حتى يعرف كيف يلون كل شيء باللون الأخضر المنبعث من نفسه المتفائلة، وهكذا يرسم طريق الخلاص من اللون الأصفر، ولذلك تنبعث من عناوينه النزعة الفردية أو الذاتية، لكن سرعان ما تختفي وتنسلخ وتذوب في بحر محيطه الاجتماعي، بل أحيانا في بحر الإنسانية جمعاء ...

ولذلك قيل "إن العمل الأدبي بقدر ما يكون ممثلا لذاتية الشاعر يكون أصيلا ويستطيع الإنسان المبدع أن ينطلق من ذاتيته ثم ينفذ في الناس، ويعبر عن تجاربهم وانفعالاتهم النفسانية لأن الفن الأصيل هو التعبير عن المطلق من خلال ذات الفنان" [(2)] وهذا ما نجده عند أبي القاسم سعد الله، فهو ينطلق من ذاته ليصل إلى الناس، وهو في كل ذلك يحاول دائما أن ينير طريق القارئ من خلال مقدماته ليريه الباب الصحيح الذي يلج منه إلى عمق الشاعر، وبالتالي يوصله إلى ذاتيته لتتحقق بذلك فكرة الخروج من الذاتية إلى الاجتماعية.

وفي كل ذلك يسعى لإزالة الضباب أمام القارئ، والأخذ بيده في طريقه الشاق، فحينما نتمعن المقدمة التي وردت في قصيدة (أوتار قلبي) [(3)]، والتي يقول فيها الشاعر: "فكرة في الروح والجمال والألم والعواطف والحياة والخلود" [(4)] نجد روعة فنية في تصوير هذه المقدمة في حد ذاتها، بل نحس بشعريتها، ونحس برغبة قوية في معرفة هذه الفكرة التي تمزج الروح بالجمال، ويصحب ذلك ألم وعواطف وخلود...، وهنا تبرز الوظيفة الإغرائية للمقدمة، والتي تجلب اهتمام المتلقي وأسره، ووضعه في جو من الانفعال، والرغبة في ولوج النص الشعري [(5)]، بهدف الوصول إلى لذة القراءة؛ لأن "استراتيجيات الإغراء كثيرة جدا ومتنوعة، وفق طريقة كل مبدع، فعملية الإلغاز التي يفترضها المبدع في عمله، يمكن أن تنشأ عن المسكوت عنه في النص، وعن فراغاته الدلالية التي على القارئ أن يسدها؛ لأن النص إذا أراد الحفاظ على متعة القراءة، فإن الحل يعلن ويؤخر إلى أبعد حد ممكن" [(6)]، وهكذا يظل القارئ يبحث عن الجمال في العمل الفني ... وإذا بحثنا عنه في قصيدة (أوتار قلبي) نجده

---

(1): ينظر: أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيدة، ص:57.
(2): المرجع نفسه، ص: 58.
(3): أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص: 103.
(4): المصدر نفسه، ص: 103.
(5): ينظر: شادية شقروش، الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح لعبد الله العشي، دراسة سيميائية، ص:61.
(6): أندري دي لنجو، في إنشائية الفواتح النصية، ترجمة سعاد إدريس تبيغ، مجلة نوافذ النادي الأدبي الثقافي، جدة، العدد10 شعبان 1420، ديسمبر 1989، ص: 43.

في العنوان قبل أن نجده في النص والمقدمة هي الطريق لذلك، لأن عنوان (أوتار قلبي) يوحي بعذوبة الألحان التي تنبعث منه بمجرد أن نتخيل أن هذا القلب عبارة عن قيثارة تنبعث منها نغمات موسيقية عذبة، لأن الشاعر شبه قلبه بقيثارة موسيقية، وحذف هذا المشبه، ورمز له بشيء من لوازمه "الأوتار" على سبيل الاستعارة المكنية، فجميل أن تصدر نبضات القلب أنغاما وألحانا تارة مفرحة تقودنا إلى الجمال الذي هو "الفن قبل أن يعبر عنه، هو الفن بالقوة، والفن هو الجمال بعد أن عبر عنه بالفعل كما يقول المناطقة في الفلسفة" [1] والجمال دائما يصاحب الروح لأنها هي التي تشعر به ولذلك جاء جاء في المقدمة "فكرة في الروح والجمال" [2] وقد قدمت الروح عن الجمال لأن الروح هي التي تحس تحس بالجمال وهي التي تشعر به وتحس بجماله فتتألم عند فقدانه وتنسكب عليها عواطف مختلفة لأن الروح هي الحياة، ولذلك جاء في المقدمة "فكرة في الروح ... والعواطف والحياة" [3]، ومن دون روح روح لا تكون هناك حياة، وبالتالي لا يكون هناك خلود، لأنه يضيف هذه الكلمة بعد الحياة فيقول "فكرة في الروح والجمال و .... والعواطف والحياة والخلود" [4] ويبرز هاهنا التكامل بين هذه العناصر العناصر التي ترقص عبر عنوانه (أوتار قلبي)، كما نلمس التكامل الواضح بين هذه المقدمة وآخر ما كتب في المقدمة العامة حينما تحدث عن سر الخلود فقال: "... وأن الطبيعة التي لم تعطنا سر الروح لم تعطنا أيضا سر الخلود، ولذلك كان علينا أن نعمل دائما، في كلتا الحالتين من أجل الخير والحب والجمال لعلنا نكون من الخالدين" [5]، وبذلك يحل اللغز من طرف المقدمة العامة التي تشرح الطريق للخلود والذي يتمثل في الخير والحب والجمال الذي يبحث عنه الشاعر في كل أعماله الفنية، ومن هنا يكتسب القارئ صورة واضحة حول قصيدة (أوتار قلبي)، ويكون الولوج إليها ولوجا إلى الخير والحب والجمال، ويكون الفاصل بينها وبين العواطف والحياة والخلود هو الألم؛ لأنه هو الذي ينغرس في النفس بمجرد إدراكه ا أن بلوغ الخلود أمر مستحيل ... وينعكس هاهنا الحلم في الزمن الأخضر الذي تنفثه الروح ويغذيه الجمال ويستوقفه الألم الذي يعزف على العواطف بأوتاره، فيتولد الشعور بالحياة ومن ثمة الرغبة في الخلود:

ذاك طيف الهوى وأحلام أنسي

([1]): بركات محمد مراد، الفن والجمال بين التراث العربي والرؤية الغربية، مجلة جذور، ص286.
([2]): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:103.
([3]): المصدر نفسه، ص: 103.
([4]): المصدر نفسه، ص: 103.
([5]): المصدر نفسه، ص: 17.

أم خيال الجوى وأشباح بؤسي

هذه جنة الحياة وهذي

روضة الموت ... في سبيل التأسي

....

وربيع الوجود نظرا نديا

من رضيب الدموع في فجر أمس

صفق النور في غمائم علس

لا تظن الحياة عيشة فجر

تقذف الليل خلف أستار درس

إن تضئني أشعة الكون نجما

كنت كالروح بين جزم وحدس

فغدا الكون كهرباءة مأس

في مغاني الجمال ولهان أشدو [1]

وحينما نتمعن المقدمة التي وردت ضمن عنوان (أحبك) [2] والتي يقول فيها الشاعر:(تذكرت تذكرت ولدي وأنا بالقاهرة في مهمة وهو في الجزائر فاشتد شوقي)[3]

إن المتمعن في هذه المقدمة يلمس الغربة في ثناياها، ويشعر بمرارتها خاصة عندما يتعلق الأمر بفلذة الكبد، فالشاعر يخبر القارئ أنه كان في القاهرة في مهمة ولكنه لم يوضح ماهي هذه المهمة التي أجبرته على البقاء في القاهرة بعيدا عن ابنه الذي يتواجد في الجزائر، ولكنه أشار إلى نقطة أهم من كل ذلك وهي اشتياقه إليه يقول:

ذكرتك، يا للمسافات بيني وبينك

فثار اشتياقي وهب الحنين

(1): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:103- 104- 105.
(2): المصدر نفسه، ص: 377.
(3): المصدر نفسه، ص: 377.

وعانقت هذا الفضاء الرحيبا

وقبلت رأسك والوجنتين [1]

وهكذا تتوضح الصورة أمام القارئ بفضل تلك المقدمة، فحينما يقول "ذكرتك" فإن المقدمة توضح أن الكاف تعود على ابن الشاعر، وحينما يقول (يا للمسافات بينين وبينك) فإن المقدمة توضح بُعد هذه المسافات بين الجزائر والقاهرة، وحينما يقول (فثار اشتياقي وهب الحنين) فإن المقدمة تبين أن هذا الشوق ليس لزوجته ولا لأحد من أحبائه إنما هو لابنه، وبالتالي يصبح القارئ أمام حقائق بين يديه، مما يبعد باب الغموض والتأويل عليه، وبالتالي يفتح أمامه آفاقا أخرى للقراءة دون لبس أو غموض، والمقدمة هنا تمثل الناحية الذاتية العاطفية لكن في إطار رسالة إنسانية ضخمة، وهو الفرق بين الذاتية الضيقة المنغلقة والذاتية المنفتحة التي تعبر عن مطامح الإنسانية جمعاء [2]، ورغم ذلك فإننا نستشف من المقدمة بأن العرف الاجتماعي لا يزال يتحكم في الشاعر إذ لا يزال عاجزا عن التحكم في شوقه، ويحاول أن يحول ذلك إلى الأبناء، ويبرز هاهنا الانتقال من الذاتية إلى الإنسانية.

وخلاصة القول إن كل المقدمات الخاصة جاءت في معظمها متوافقة تماما مع العنوان الذي اندرجت تحته، وكان الشاعر يهدف من خلالها إلى إنارة طريق القارئ، وإزالة الغموض الذي قد يعتريه في هذا الطريق، كما يرسم له المسار الصحيح للولوج إلى القصيدة من بابها السليم.

ولا زلنا مع سياجات الديوان لنحط الرحال الآن عند المناسبات والإهداءات.

(1): المصدر نفسه، ص: 377.
(2): أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيدة، ص:58.

– ثانيا: المناسبات والإهداءات

إن معظم القصائد المندرجة ضمن ديوان الزمن الأخضر تصادفها مناسبة معينة، أو تكون مهداة لفئة معينة، وسنحاول التطرق إلى هذه المناسبات والإهداءات لنبين أهميتها في إنارة طريق القارئ، موضحين علاقتها بالعنوان الرئيسي لديوان الزمن الأخضر.

أ/ المناسبات:

المناسبات هي الأحداث التي توافق ذكرى معينة، وهي موجودة في ديوان الزمن الأخضر بنسبة66,4 % ولها دور كبير في إنارة الطريق للقارئ بحيث أنها تمكنه من أخذ فكرة عامة حول القصيدة، وبالتالي تسهل عليه الطريق للولوج إليها.

ويمكن تقسيم المناسبات الموجودة في هذا الديوان كما يلي:

1- مناسبات ثورية:

إن الثورة هي ذلك الحدث الذي يستلهمه الشعب من تراثه المجيد، ومن حضارته الغنية الراسخة الجذور، وقيمه الروحية والمادية التي ميزت تاريخه عبر العصور، وشكلت هويته عبر مراحل نضاله الطويل[1]، إنها تنبع من كل شبر في الوطن لا تكاد تجف فيه الدماء القانية حتى تنسكب فيه دماء أخرى أكثر غزارة وتدفقا وسخاء [2]، ولذلك فلا عجب أن يأتي ديوان الشاعر غنيا بالثورة والشباب والحرية، لأنه "ظل في قرارة ضميره مرتبطا بجذوره العرقية، والدينية" [3] والوطنية، وبدا هذا هذا التأثير واضحا في ذاكرته المشحونة بالثورة والتي تفيض إحساسا وألما كلما جاءت مناسبة تمس الثورة من قريب أو بعيد، وخير مثال على ذلك قصيدته (الخائن) [4]، والتي جاءت في مناسبة حاول فيها بعض الخونة عرقلة الثورة [5]، فتصور هذه المناسب الحقد والكره والبغض والألم ضد كل خائن وقف في طريق الثورة ومنع اللون الأخضر من النماء، وهكذا ترتسم الصورة للقارئ قبل أن يلج القصيدة، فيشحن بالكره للخونة قبل أن يقرأ القصيدة، فما بالك حينما يغوص فيها !

(1): ينظر: أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيدة، ص:60.
(2): ينظر: المرجع نفسه، ص:60.
(3): نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير،ص64.
(4): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:229.
(5): ينظر: المصدر نفسه، ص: 299.

يقول:

برئت أرحام ارضي
وصحاري وشعبي
من زنيم خان عرضي
وحريق الليل مجنون اللهيب
أحمر العينين مخنوق الدخان
تمطر الموت على غاصب أرضي
وعلى سارق عرضي
أي بغض (1)

إن مناسبة القصيدة عتبة مهمة للقارئ لا يستطيع تخطيها؛ لأنها تعطيه صورة واضحة حول القصيدة، وهي تمثل "لحظة الولادة" (2) التي يخرج فيها الإبداع الفني إلى الحياة بعد أن كان ذكريات عالقة بالنفس، مما يولد ألم الكتابة، وما أصعبه من ألم ! إنه قلق فكري ينتاب الفكر أصعب مما ينتاب الجسد "لأن الشعر والفن الجميل، طاقة إخراج هائلة تتمثل في كونه يجذب المتلقي ويصغي إلى اندفاعاته الخفية وينتشله من واقعه ويدرجة في واقع النص، فتنكسر لحظة القراءة التي يعيشها المتلقي من الداخل بعد طول الانتظار والإصغاء وتصبح لحظة إطلالة على لحظة الكتابة، وهي لحظة يعيشها الشاعر وحده ... " (3)، وهكذا تضيء المناسبات للقارئ ما قد يراه عاتما في طريقه إلى النص...

ولا يزال الشاعر أبو القاسم سعد الله يعيش للثورة وآلامها، ويعيش لكل لحظة، ولكل ذكرى، ولكل موقف يمسها من قريب أو بعيد.

(1): المصدر نفسه، ص: 299.
(2): شادية شقروش، الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح لعبد الله لعشي، دراسة سيميائية، ص:88.
(3): مصطفى لطفي اليوسفي، لحظة المكاشفة الشعرية وإطلالة على مدار الرغب، الدار التونسية للنشر، د.ط ، تونس1996، ص: 44.

وتأتي مناسبة أخرى فيها "طلبت فرنسا وقف إطلاق النار أولا دون اعتراف بأهداف الثورة 1957" [1] ليولد ضمنها عنوان (كفاح إلى النهاية) [2]، ويبرز هاهنا التكامل واضحا بين هذا العنوان العنوان والمناسبة؛ لأن هذه الأخيرة هي التي ولَّدت في الشاعر وجع الكتابة ليخرج عمله الفني إلى الحياة رافضا وقف طلاق النار دون الاعتراف بأهداف الثورة. يقول:

بالبطولات، بروح الشهداء
بالشعارات بآلاف الضحايا
سوف لا ألاقي السلاح
سوف لا تبرح كفي بندقية
سوف لا يفرغ جيبي من رصاص
سوف لا يهدأ حقدي دون ثأري
سأظل الشعلة الحمراء في وجه عدوي
سأظل الطعنة النجلاء في ظهر عدوي
باسم أهداف الكفاح
سوف لا ألقي السلاح [3]

إن رفض الشاعر لإطلاق الرصاص هو رفض للعزوف عن زرع البذور؛ لأنه يؤمن بأن البذرة هي الطريق إلى الإخضرار، وتبرز هاهنا العلاقة بين هذه المناسبة والعنوان الرئيسي "الزمن الأخضر" لأن السلاح هو البذور والقوة هي الطريق إلى الحرية، وبالتالي الطريق إلى الزمن الأخضر، يقول:

يا رياح الثأر كوني عاصفة
يا قوى التحرير.. حان الموعد
ساعة ... بعض زمان يا رفاق
سوف لا تبرح كفي بندقية

(1): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:383.
(2): المصدر نفسه، ص: 383.
(3): المصدر نفسه، ص: 283.

سوف يتلوها العناق (1)

وهكذا كانت المناسبات الثورية من حين لآخر ومضات وخزٍ خاطفة تبعث في الشاعر وجع الكتابة، وترسم للقارئ مساره إلى النص الشعري، كما نلمس في الديوان أنواعا أخرى من المناسبات نمثل بعضها فيما يلي:

2- مناسبات شخصية:

لقد سخر أبو القاسم سعد الله كل طاقاته الفكرية والإبداعية والشعرية من أجل خدمة القضايا العربية عامة والثورة الجزائرية خاصة، فكان في كل مرة ملتهب الشعور يعبر عن ألم ممزوج بأمل بالمستقبل المشرق، ولذلك لا نجد مساحة كبيرة لقضاياه الشخصية الذاتية في الديوان والتي في أغلب الأحيان يمس بها الإنسانية جمعاء، وفي هذا الباب نضرب مثالا بقصيدته (سعادتي أنت) (2) والتي قالها بمناسبة العيد الأول لميلاد ابنه يقول: "في ولدي أحمد بمناسبة عيد ميلاده الأول" (3).

لقد كان الشاعر دائما ثورة ملتهبة على الظلم والطغيان ... وعندما يئس من الكبار، و لم يحقق ما كان يصبو إليه تحول إلى مخاطبة الأطفال الذين يشكلون أمل المستقبل وابتسامة الغد السعيد(4)، والمناسبة تصادف العيد الأول لميلاد الابن وهذا يعني أن عمر ابنه سنة واحدة، فهو لا يزال يزال رضيعا لا يسمع ولا يفهم شيئا، فالخطاب إذن موجه لبراءته العذبة والأمل في السعادة ملتصق في صفحته البيضاء يقول:

سعادتي أنت لا مال ولا نشب
ونشوتي أنت لا الطاسات والعنب
ضربت في الأرض بحثا عن مؤرقتي
فلم أنلها وكاد العمر ينقلب (5)

---

(1): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:284- 285.
(2): المصدر نفسه، ص: 375.
(3): المصدر نفسه، ص: 375.
(4): ينظر: أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيدة، ص:39.
(5): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:375.

وهكذا ترسم هذه الأشواق اتجاها نحو العالم الفسيح الزاخر بالذكريات، العالم الأخضر الذي يريده الشاعر ويلتصق بذاكرته، ويحب أن يعرف فيه، كما ترسم لنا الحركة النفسية للشاعر وصراعها مع الحوائل والحواجز(1)، فيلجأ إلى الطفولة لأنه يراها عالما مثاليا بعيدا عن النفاق والخداع ويرسم على صفحتها البيضاء آمالا خضراء نظِرة.

يقول:

حتى أتيت فبانت لي مؤرقتي

من الحجاب فهب النور ينسكب (2)

كما أن الأب الشاعر في مناسبته هذه يرمز إلى حب الحياة والتشبث بها لأن الأبناء رمز التواصل في حياة الإنسان حيث يرى فيهم نفسه وأمله وحبه للحياة، وأن موته لا يعني فناءه مادام له الأبناء(3)، وهكذا يبرز مرة أخرى دور المناسبة في إنارة عتبات النص الشعري، كما تفتح آفاقا واسعة واسعة للقراءة في مجالات مختلفة، فهي تتعاون مع المقدمات لإزالة الغموض الذي قد يعتري القارئ، كما توسع من آفاق توقعه حول النص.

ب/ الإهداءات:

الإهداء علامة تدل على الرضا والحب والود، ومعلم من معالم التواصل بين الإنسانية، والإنسان لا يهدي إلا لمن يحب، كما أن الإهداء عتبة قد تضيء لنا النص، وتزيل الغموض عليه، كما يشير إلى محوريته؛ لأن هذا النص يصبح فضاء مختارا يهديه الشاعر إلى من يحب، فهو مدخل من مداخل التأويل، وعتبة توصلنا بالنص؛ لأنها تملك وظيفة تنميطية وإغرائية لجلب اهتمام القارئ، وفي الوقت ذاته يقوم الإهداء بالوظيفة الإخبارية، كما تساعد على الانتقال إلى فضاء النص وفهم أفقه

(1): ينظر: احمد مختار البزرة، الأسر والسجن في شعر العرب، ص:488، نقلا عن محمد زغنية، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الحديث للطباعة والنشر، عين مليلة،2004- 2005، ص: 51.
(2):أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:375.
(3): ينظر: محمد زغنية، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص55.

وضبط بعض دلالاته لأن "الإهداء عتبة نصية تحمل بداخلها إشارة ذات دلالات توضيحية" [1]، فهو يبوح بأفكار الشاعر الذي وجهها إلى القارئ.

وإذا تصفحنا ديوان "الزمن الأخضر" نجد بأن هناك العديد من القصائد التي أهداها الشاعر إلى الذين يحسهم أقرب إلى نفسه في مناسبات مختلفة خاصة منها الثورية والوطنية مثل ما ورد في قصيدة (المجاهدون)[2]، و(الجرح والمصير) [3] كما نجد إهداءات تمس الجانب الإنساني نلمسها في قصيدة (جلال الخلد)[4] و(أغاريد الجمال)[5] وأيضا (غيوم) [6].

كما نجد بعض القصائد مهداة إلى بعض العلماء والمفكرين ممن هم أقرب إلى نفس الشاعر وخير مثال على ذلك قصيدة (تاج العرب)[7] و(هزاز الشعر)[8]، و(قدوة الأحرار)[9].

كما نجد بعض الإهداءات الشخصية الذاتية التي لها أبعادها النفسية والثقافية، ومثال ذلك قصيدة (شعاع الماضي)[10] و(كأس الحياة)[11] و(المجهول)[12] وسنحاول أن نتناول بالدراسة نموذجا من هذه الإهداءات وسنختار النوع الثوري، مبينين أبعاده النفسية ووظيفته الإغرائية ودوره في توسيع آفاق القارئ.

1- الإهداءات الثورية:

اندلعت الثورة المسلحة ليلة أول نوفمبر 1954م، و لم يتخلف أحد من الشعب عن المشاركة، كل حسب إمكاناته وقدراته، وذلك في كل شبر من هذا الوطن، وليس بالسلاح وحده يمكن مواجهة العدو، ولكن بالكلمة أيضا، "فالأديب مقاتل بالكلمات، كما أن الجندي مقاتل بالسلاح كما عبر عن ذلك هوشي منه الذي أدرك الأهمية الكبرى التي يمثلها الأدب في فترات الكفاح

(1): حسن محمد حماد، تداخل النصوص في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط 1998، ص: 64.
(2): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:309.
(3): المصدر نفسه، ص: 355.
(4): المصدر نفسه، ص: 79.
(5): المصدر نفسه، ص: 87.
(6): المصدر نفسه، ص: 95.
(7): المصدر نفسه، ص: 27.
(8): المصدر نفسه، ص: 69.
(9): المصدر نفسه، ص: 161.
(10): المصدر نفسه، ص: 23.
(11): المصدر نفسه، ص: 73.
(12): المصدر نفسه، ص: 127.

والتحول، فالشاعر الحقيقي هو "الذي يعيش حياة المقاتلين...ويقاوم كل أنواع الاضطهاد والقهر" [1]، والقهر"[1]، ويكون دوما بجانب إخوانه يقاسمهم محنهم، ويواسيهم، ويضمد جروحهم بالكلمة المشجعة[2]، وأبو القاسم سعد الله مثال حي لذلك الشاعر الحقيقي الذي "التزم بالثورة منذ بدايتها إلى إلى نهايتها، فكان لا يلهيه شيء عنها [3]، فظل شاعرا مناضلا وقصائده الكثيرة تشهد له بذلك، ومنها ومنها (المجاهدون)[4] التي أهداها إلى أصدقائه المجاهدين في الجزائر [5] فيقول: "إلى أصدقائي المجاهدين المجاهدين في الجزائر"[6].

إن قارئ هذا الإهداء يستنتج مباشرة أن الشاعر حينما كتب هذه القصيدة لم يكن في الجزائر، لأنه يقول: "إلى أصدقائي المجاهدين في الجزائر"، فقوله في الجزائر دليل على أنه لم يكن هناك، والتاريخ في آخر القصيدة يثبت ذلك إذ يقول "القاهرة 29 نوفمبر 1957"[7]، ومن هنا تبدأ أهمية هذا الإهداء الإهداء في الظهور؛ لأنه يزيح الضباب الذي قد يعتم رؤية القارئ، ثم إن كلمة "أصدقائي" تشير إلى أن أبا القاسم سعد الله واحد من هؤلاء المجاهدين الذين وهبوا أنفسهم فداء للوطن، وزرعوا الأمل في النفوس، فما منحهم الشاعر من صفات يمكن إسقاطها عليه، لأنه واحد منهم، وبالتالي فإن كل ما في القصيدة هو مرآة للشاعر، فتبرز ها هنا قيمة هذا الإهداء بوضوح في إنارة الطريق للقارئ يقول:

يا أصدقاء !

يا غنوة القمم

يا زارعي الآمال

ستخصب القفار

وتنضج الثمار

رغم الضياع والأمل (8)

([1]): أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيدة، ص:13.

([2]): ينظر: محمد الطمار، مع شعراء المدرس الحرة بالجزائر، سلسلة الدراسات الكبرى، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 08- 2005، ص: 24.

([3]): ينظر: المرجع نفسه، ص:40.

([4]): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:309.

([5]): المصدر نفسه، ص: 309.

([6]): المصدر نفسه، ص: 309.

([7]): المصدر نفسه، ص: 310.

([8]): المصدر نفسه، ص: 309.

إن القارئ لهذا الإهداء ترتسم في ذهنه توقعات حول القصيدة بالتنسيق مع العنوان الذي يبدو متناسقا جدا معه، لأن الإهداء "عتبة لا تخلو من القصدية" [1].

كما أن عبارات الإهداء تعبر عن الوضع الاجتماعي والتاريخي الذي عاشه الشاعر ليكون هذا الإهداء نصا موازيا عايشه بصدق، وتربطه به علاقة ثقافية ومعرفية وسياسية، حيث يؤكد لنا الإهداء الذي وجهه لأصدقائه المجاهدين الذين تتجمع فيهم صفات النضال الثوري، والحرية والأمل ليكون الإهداء أداة تعبيرية تعكس طموحات وأحلام الفنان وتصور حبه للوطن، ورغبته في كسر قيود الثورة يقول:

يا أصدقائي
تقول الشمس أنكم رواد
حفرتم الضياء
على الصخور والجباه
وأنكم مزقتم الضباب
لتزحف الأجيال ! [2]

ثم إن النص الذي يندرج ضمن هذا الإهداء يصور تضحيات المجاهدين في سبيل رفع راية النصر، وبالتالي يظهر التكامل بينه وبين العمل الإبداعي، وهكذا يسهم الإهداء في إنشاء الروابط بين أجزاء النص في تكوين التوقعات المبكرة لدى القارئ، وبالتالي يؤسس هذا الإهداء في رسم بعض التوقعات حول صفات المجاهدين من تضحية وشهامة والتي نجدها في النص:

يا أصدقاء
يا رائدي الأجيال
يا واهبي الأطفال
تفاحة الهناء [3]

([1]): حسن محمد حماد، تداخل النصوص في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط ، سنة1998، ص: 64.
([2]): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:309- 310.
([3]): المصدر نفسه، ص: 310 .

وختاما فإن الإهداء عند أبي القاسم سعد الله يبوح بنوعية النصوص التي تندرج ضمنه، كما يبوح بثقافة الشاعر، وارتباطه التاريخي والسياسي والاجتماعي، ويبقى للقارئ المبدع أن يكتشف ذلك ويضع في الحسبان أن الإهداء كعتبة نصية تشكلت لحاجات اجتماعية أو سياسية أو ثقافية،... فهي تابعة لنصوصها، وكل إهداء يعبر عن طبيعة المرحلة التي ينتمي إليها، وأن الشاعر بهذا الإهداء "يضع خطة لقارئ ضمني"[1] يقيم جسرا بينه وبين النص.

ومجمل القول فإن كل ما يحيط بالنص من سياجات تتناسق وتتعاون فيما بينها لتفتح آفاقا واسعة للقراءة، وتضيء للقارئ الظلام الذي قد يصاحبه خلال مسيرته في القراءة، كما توسع من دائرة معارفه حول النص.

([1]): ينظر: روبات هولب، نظرية التلقي، ترجمة عز الدين إسماعيل، كتاب النادي الأدبي الثقافي، ط1، 1994، ص: 19.

تمهيد:

يساعدنا البحث في تقنيات العنونة على إدراك ما يحكم العناوين من أبعاد جمالية وكوامن وطاقات تواصلية أو إبلاغية انطلاقا من أن العنوان ظاهرة جمالية، ومن الضروري إدماج العنوان مع مضمون النص من أجل الوصول إلى رؤية شاملة لاستراتيجية العنونة التي تعكس جمالية العمل الفني...

وقد يكثر الجدل حول تقنيات العنونة حسب نظرة كل قارئ ورؤيته الثقافية للعناوين، إلا أن مبادئ هذه التقنيات وطبيعة توالدها في الديوان قد تعطي قواعد وآليات لعدة قراءات متنوعة...

ومن هذه الزاوية اخترنا مجموعة من التقنيات للعنونة، محاولين تفكيك شفراتها اللغوية الإيحائية، معتبرينها ظاهرة لغوية توحي بمجموعة من العلامات من منطلق السيميائيات، ولكي نعمق هذه الدراسة يجب علينا أن نقف عند كل علامة في بنيتها السطحية والعميقة، محاولين دراسة بعض هذه العناوين من مختلف الجوانب التي تعكس جمالها وتبرز النقاط الفنية، وتصور قدراتها الجمالية على احتواء مضمون النص، ولذلك سنحاول تصوير هذا الجمال الفني، من منطلق أن العنوان "مفتاح أساسي يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتحويلها" [1] للوصول إلى لذة القراءة.

أ/ العناوين الاسمية:

مما لا شك فيه أن الشعر هو مرآة عاكسة لصاحبه، وصورة واضحة لشخصية الشاعر تعكس ثقافته وأفكاره ورؤيته، بل أكثر من هذا رزانته واتزانه، وإذا فتحنا ديوان "الزمن الأخضر" وتصفحنا عناوينه، فإننا دون شك سنلحظ أن أغلبها جاءت اسمية توحي بالثبات والاتزان "شعاع الماضي، تاج العرب، دموع العبقرية، أغاني الربيع، الحب الحلال، كأس الحياة، ملائك الخلد، الطبيعة الغضبى، نشوة الروح، نغم الوداع، الجمال الحالم، هزار الشعر، جلال الخلد، أغاريد الجمال، مصرع غرام، صرخة الجلاء، مواكب النسور، ..." [2] ، كما ترسم هذه العناوين صورة لشخصية أبي القاسم سعد الله التي كونتها المطالعات المختلفة "لذلك فإن جل رحلاته كانت من أجل البحث والتنقيب عن المصادر العلمية والثقافية" [3]، فجاء ديوانه "الزمن الأخضر" "متحفا للذاتية، إذ يمثل سيرة حياته الأولى

(1): جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، الكويت، ص:96.
(2): أبوالقاسم سعد الله ، ديوان الزمن الأخضر، ص23، 27، 37، 39، 41، 43، 47، 53، 59، 61، 65، 69، 79، 87، 107، 121، 123.
(3): عبد السلام ضيف، الكتابة الأدبية عند أبي القاسم سعد الله، ص22.

بما يوحي به من تعبير عن الذات وتصوير تأثري وانفعالي لحالة النفس" [1]، فكانت شخصيته واضحة كل الوضوح سواء في دواوينه الشعرية أم في كتاباته النثرية؛ لأنه يتسم بالموضوعية كما يبدو ذلك جليا من قوله: "يعبر هذا الشعر عن زمنين أخضرين: عهد شبابي وعهد الثورة التي هي شباب الجزائر... وهكذا انصهرت من هذا الشعر عاطفتان مشبوبتان لا تكادان تنفصلان: العاطفة الذاتية والعاطفة الموضوعية"[2].

وقبل أن تكشف القصيدة على شخصية الشاعر يسبقها العنوان في اختزال مضمونها بين ثناياه فينال شرف الرتبة الأولى ليجسد في حروف ما يختلج في النفس من مشاعر وأحاسيس وأفكار، ويختصر في لحظات كل ما تنطوي عليه من رؤى وتصورات، باعتباره اللوحة الاشهارية المروجة للقصيدة، كما أنه يمثل "أعلى اقتصاد لغوي ممكن، يفرض أعلى فعالية تلق ممكنة مما يدفع إلى استثمار منجزات التأويل" [3]، ولا يمكن إطلاقا الفصل بين العنوان والقصيدة باعتبارهما حلقتان ملتصقتان متكاملتان لأن "العنوان يولد من النص، كما يولّد النص العنوان" [4]، ومهما يكن فالعنوان يمثل محورا لولبيا تدور حوله معاني القصيدة و"أول مفتاح إجرائي نفتح به مغالق النص، وننطلق منه إلى النص الأكبر"[5]، ومهما كان المعنى العميق الذي يندرج ضمنه النص الشعري فإن العنوان يحمل رسالة النص الكبير فيختزله في شكل عبارة قد تكون حروفا أو أرقاما، وقد تتسع هذه الحروف كما قد تضيق، "كما قد تنفجر كالبركان وتسيل ماء وتحلق طائرا وتستوي قارورة أو مرسما وتطبع مقلوبة فهاهنا تلتقي بلاغة العنوان بصناعته ويتم التوافق بين التشكيل والمقصد... فإذا العنوان طاقة شعرية" [6] قد يتعالى عن القارئ فيدفعه على الصعود إليه؛ لذلك يلعب القارئ دورا كبيرا في استجلاء أسرار النص والوقوف على معانيه، ومن الأفضل أن يضع في الحسبان عبارة "داماسو الونسو" * التي يتمثل فيها "الشعر عصفورا وديعا إن شددت عليه قبضتك الدراسية أزهقت روحه، وحولته إلى جثة لا يغنيك تشريحها في معرفة سر رشاقتها وهي ترف حولك، علينا إذن أن نمسك هذا العصفور بحنو

[1]: المرجع نفسه، ص: 22.
[2]: أبوا القاسم سعد الله، ديوان "الزمن الأخضر"، ص: 07.
[3]: بسام قطوس، سيمياء العنوان، ص: 36.
[4]: ينظر: حليمة قطاي، إستراتيجية العنوان في الكتاب النقدي القديم، ص:45.
[5]: بسام قطوس، سيمياء العنوان، ص: 26.
[6]: المرجع نفسه، ص: 31– 32.
*: ناقد أسلوبي وشاعر اسباني كبير

شديد، أن نسمح له بالتفلت من أصابعنا، وإذا كان لنا أن نحبسه في منهج فليكن قفصا واسعا يتركه يتنفس ويتحرك". [1]

وعليه سنحاول دراسة العناوين الاسمية في ديوان الزمن الأخضر محاولين تبيان علاقتها بالزمن الأخضر، راسمين مجالا أوسع لهذه العناوين لتتكلم بحرية فتقول ما تشاء وتبوح —ربما- بما لا تشاء تاركين لها فناء واسعا لأن الشعر هكذا "يكتبه صاحبه حرا طليقا، يأخذنا الفضول في معرفة سر الجمال فيه، نمسكه برفق لنضعه في قفص الدراسة ويكون الأوسع هو الأفضل" [2]؛ لأن مفهومنا للنص للنص قد تجاوز فكرة التصحيح والتأويل فهو "ليس تصورا وإنما هو ممارسة، فالخطاب عن النص لا يمكن أن يكون ذاته إلا نصا هو الآخر" [3] على حد قول بارت، وهذا ما جعل نصوصا كثيرة لأبي القاسم سعد الله قابلة لأن تكتب مرات عديدة لأنها تقودنا في كل مرة إلى الرغبة في الكتابة، فيتحول الاستهلاك هنا إلى إنتاج وتبرز هاهنا نقطة تحول واضحة تسير من السلب إلى الإيجاب [4]؛ لأن القارئ القارئ في حد ذاته أصبح ينتج عملا إبداعيا فيمنح النص إمكانيات قرائية متعددة تزداد اتساعا كلما قارب النص ولمس خفاياه...

وهاهنا نقترب من تلك العناوين الاسمية لنجعلها شرفة نطل من خلالها على أعماق الشاعر وما يختلج فيها من مشاعر وأحاسيس، وما ينطوي ضمنها من أفكار وتصورات؛ لأن أشعاره "تفصح عن عذاب الروح الأسيرة في جسدها بين جدران العالم وغربتها عن وطنها الأصلي حيث كانت تعانق الحرية والسعادة" [5]، فيتصل الشاعر بمفردات يشحنها بآلامه وأفراحه "فيطلق العنان لأحلامه ليكون هذا الانطلاق إشباعا لآماله غير المحدودة حتى أنه لا يريد أن يهبط من ذلك العالم الذي خلقه لنفسه"[6]، ويلجأ بذلك إلى الشعر لينفخ فيه من روحه المتألمة فتبوح كلماته عن ألم دفين أو فرحة عابرة أو رؤية أو خاطرة فيقول: "أما ما قلته من شعر بعد سنة 1960 فلا يعدو أن يكون نفثات نزفها القلم تعبيرا عن ثورة مكبوتة ضد الاستبداد والطغيان، أو فرحة عارمة أو حزن مكتوم أو أمل

([1]): صلاح فضل، أساليب الشعرية العربية نقلا عن هجيرة لعور، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة منتوري، قسنطينة، سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين، للشاعر هبد الله حمادي، ص:138.

([2]): المرجع نفسه، ص: 138.

([3]): عمر أوكان، لذة النص أو مغامرة الكتابة لدى بارت، إفريقيا الشرق،1996، ر.إ.ق، 90- 91.

([4]): ينظر المرجع نفسه، ص:63- 64.

([5]): أبوالقاسم سعد الله، الديوان، ص: 337.

([6]): محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، دار العودة، بيروت، ط06، 1981، ص: 72/ 73.، نقلا عن: عبد السلام ضيف: الكتابة الأدبية عند أبي القاسم سعد الله، ص: 34.

في لحظة لم يكن النثر ليستطيع التعبير عنها دون البوح بالسر المصون أو التعرض لحبل المشنقة" [1]، وفي وفي كل ذلك كان يواجه الواقع في جرأة لأن "الكاتب الحق يجب أن يقول كلمته الحرة المقتنع بها سواء أرضت الآخرين أو أسخطتهم، أما الكاتب الذي يجامل بكلماته، ويجاري التيار ويماشي الظروف فهو كاتب انتهازي أو مأجور جبان"[2] على حد قول أبي القاسم سعد الله الذي كان يجعل يجعل من الشعر متنفسا لآلامه وأحلامه فيقول:

الشعر باقة ريحان تصففها أيدي الملائك والأحلام تهديها [3]

وإذا حاولنا الولوج إلى ديوان "الزمن الأخضر" لنتصفح عناوينه فإننا نجد أن أغلبها جاءت اسمية بنسبة 91,73 % وهي نسبة تدل على الثبات والرزانة منذ أول عنوان اسمي يصادفنا في الديوان وهو "شعاع الماضي"[4] إنه عنوان يفتح منذ البداية بوابة الأمل، لأن الشعاع هو "الضوء الذي الذي يرى كأنه خيوط" [5] فترحل الذاكرة إلى الماضي لترى أنواره المتلألئة، فيرتبط حينها الحاضر بالماضي لأن الشعاع هو ذلك النور الذي يتبع كل إبداع عظيم وسط الظلام "فيجعل استمرار الحياة قائما على ثنائية ضدية لا تتآلف إلا في اللحظات التي تثمر صياغة جديدة لهذا التوتر" [6]، ذلك أن الإحساس بالتفرد ماهو إلا حالة استعداد طويلة للحظات غير عادية تتباهى فيها الأضداد "فتتحد كل القوى الخفية لتصنع معجزة الخلق" [7] لذلك الطيف السحري الذي أنار طريق الشاعر فرسخ في الذاكرة وأهداه شحنة مشاعره الملتهبة فقال: "إلى ذلك الطيف الحاير على أرجوحة الأمل الجميل، أزف هذا النغم الحزين" [8]، إنه يهديه سر غرامه وسر جماله فتوقفت الذاكرة عندها للحظات لينير الشعاع ظلامه الدامس، لكن سرعان ما يتسلل الألم في تلك اللحظات ليعكر صفو تلك الإنارة يقول:

يا سر قلبي في غرامك عانى
يا ظل فجرك باسما بجناحي

([1]): أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص:07.
([2]): محمد الحسن فضلاء، من أعلام الصلاح في الجزائر، مطبعة دار هومة، الجزائر، الجزء الثالث، ص15.
([3]): من قصيدة (هزار الشعر)، نشرت في (البصائر) عدد222، 20 مارس 1953 نقلا عن أبي القاسم سعد الله: ديوان الزمن الأخضر.
(4): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص23.
([5]): إبراهيم مصطفى،المعجم الوسيط، الجزء الأول، المكتبة السلامية للطباعة والنشر، إسطنبول، تركيا، ص485.
([6]): المرجع نفسه، ص485.
([7]):صلاح فضل، أساليب الشعرية العربية، سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين، ص129
([8]): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:23.

يا أيها الملك الذي هجر السما

هذا جمالك حلما بأماني

أرضى بوصلك بل بوصلك عاني (1)

إنه برجوعه إلى الماضي في هذه الوقفة للذاكرة يشعر بالألم لأن "أشعاره تفصح عن عذاب الروح الأسيرة في جسدها بين جدران العالم وغربتها عن وطنها الأصلي حيث كانت تعانق الحرية والسعادة"(2)، ولذلك نجد بأن الوجدانية في هذه الفلتات الشعرية نفحات إنسانية تطفو في غمرة التوهج وبخاصة حين يتصل قلب الشاعر بمفردات الوجود فيطلق العنان لأحلامه (3)، لأن "الشاعر الوجداني يبحث عن المثالية وينشد راحة أبدية فيقول:

أسلو بنورك بل بنارك تائها

بالحب في عرس الصبابة ضاني

رفرف علي فإنني ملتهب

نفسا ونفسا لا أقول كفاني (4)

والشاعر في هذا العنوان "شعاع الماضي" لا يزال يتذكر ذلك الشعاع في زمن من الأزمنة، ويتذكر توهجه ويتذكر الظلام الذي أناره فيشعر براحة لا مثيل لها لا تلبث أن تتلاشى لا لشيء سوى لأنها مثلت مرحلة مهمة في حياته، وشعورا جميلا عاشه في لحظة من اللحظات:

وانشر بفردوس القلوب جلالة

واعزف على وتر الوصال نشيديا

إن الطبيعة جنة علوية

فتحت لمن رام الهوى بأماني (5)

---

(1): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:23.
(2): المصدر نفسه، ص: 337.
(3): ينظر: عبد السلام ظيف، الكتاب الأدبية عند أبي القاسم سعد الله، ص:34.
(4): أبوا القاسم سعد الله: ديوان الزمن الأخضر، ص:23.
(5): المصدر نفسه، ص: 23، 24

فعنوان "شعاع الماضي" تجلى لنا بكل ما يحمله من معاني النور والصفاء؛ ليرسم لنا عرسا سرمديا في زمن من الأزمنة التي مضت ولن تعود، غير أن الشاعر يستطيع استحضارها كلما اشتاق إلى النور، لأن القضية مرتبطة بمشاعر دفينة ترى النور في الظلام، وما زادها ترسخا في الذاكرة هو ذلك الشوق والحنين إلى الطيف بنوره الوهاج:

يقول:

رفرف علي فإني ملتهب
حظر الوقود –على الرضا– بكياني (1)
بكياني (1)

وبذلك كان العنوان هو "الكلمة الموضوع الملحة والحاضر بقوة في القصيدة" (2) بمختلف مدلولاتها وما توحي به من أمل متشبث بماض يتحكم الشاعر في بعده الزمني فيستحضره متى شعر بالظلام وأحس بالوحدة:

يا أيها الملك الذي هجر السما
هذا جمالك حالما بأماني
يجليه طيف شعاعك المتداني
قد كنت أنظرها شعاع حقيقتي
أفل الشعاع –فليته– وسلاني (3)

إن هذا الشعاع "شعاع الماضي" ينشطر إلى شطرين أساسيين "شعاع" و"ماضي" يحيل الأول –شعاع– إلى بنية فنية عالية مشحونة بالأمل والراحة النفسية، بينما يحيل الثاني "الماضي" إلى فضاء زمني محدد يرمز إلى فترة زمنية عاش فيها الشاعر ذكريات جميلة، وهي تمثل بصدق تجربة عاشها الشاعر وترسخت بقوة في أعماق نفسه التي تحن حينا إلى النور، وتتألم حينا آخر لفراقه، وبالتالي تبرز

(1): أبو القاسم سعد الله ، ديوان الزمن الأخضر، ص24.
(2): هند سعدوني، قراءة سيميائية لقصيدة مدينتي، منشورات النادي الأدبي، جامعة منتوري، قسنطينة، ص:162.
(3): أبوا القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص: 24.

العلاقة بين الكلمتين متجلية في ذلك العطاء الذي تمده كل منهما للأخرى، وكأنهما رئتين وأكسجين يكملان بعضهما لتظل الروح راسخة في أعماق الشاعر:

يا بسمة في اليأس حلك الذي
حظأ الوقود -على الرضى- بكياني
طوبى لمن صهر الجمال فؤاده
وجفا خليلا في جحيمه هاني [1]

إذا تأملنا الكلمة الأولى من العنوان "شعاع" نجدها اسم نكرة، وهي كلمة خبرية مبتدؤها محذوف تقديره "هذا شعاع الماضي" والإشارة بهذا دليل على قرب هذا الماضي الذي ما يزال مستمرا في ذاكرة الشاعر وفي مخيلته، بل ما يزال عالقا بالماضي، لأن الشاعر يبحث عن شعاع الحاضر، لا عن شعاع الماضي، لأنه في حالة استقبال للزمن الأخضر، إلا أن ثبات هذا الشعاع بإضافته إلى الماضي يدل على تراثيته وأصالته وعمق جذوره، وبما أن كلمة شعاع جاءت نكرة فإنه يحق لنا أن نتساءل: ألم يكن الشاعر يستطيع أن يقول "الشعاع الماضي"؟ أليس أراد من خلال تنكيرها أن يجعلها تحمل صفة المطلق فيصبح بإمكاننا أن نسقطها على جميع الآمال لتصبح منيرة للماضي بكل ما تحمله من دلالات؟

"وكلمة شعاع اسم مذكر، ونقف هنا لنطرح السؤال مادام يرمز بها إلى المرأة التي هي دون جدال مؤنث، فلماذا لم يختر كلمة مؤنثة؟ ربما يرجع هذا إلى ثقافة الشاعر وأسراره الدفينة أو ربما لا يرغب في البوح بأسراره يقول:

قد كنت أنظرها **شعاع** حقيقتي

أفل **الشعاع** -فليته- وسلاني[2]

إنه يخاطبها بقوله "أنظرها" لكنه يذكرها بقوله "شعاع" أليس في ذلك بوح دفين ودعوة للتأمل في هذا النور الخفي، فالعنوان بوح بنوع ما من قصد المؤلف" [1] وربما تحيل هذه القصدية إلى

([1]): المصدر نفسه، ص: 24.
(2): المصدر نفسه، ص: 24، 25.

ذهن الشاعر وما يتوافد فيه من ذكريات، وتبرز هنا العلاقة بين هذا العنوان والنص على أن العنوان هو وحدة صغرى لوحدة كبرى[2] فهو النقطة التي ينطلق منها نسيج النص ليصبح مكثفا لأفكاره لأن لفظة "شعاع" تمططت مدلولاتها عبر النص في سياقات مختلفة يقول:

يجليه طيف **شعاعك** المتداني

قد كنت أنظرها **شعاع** حقيقتي

أفل الشعاع فليته وسلاني[3]

والهدف من هذا التمطط هو تعميق الانفعالات، وزيادة الإحساس بمعناها بعمق لأن الشاعر يزاوج بينها وبين لفظة الطيف ويجعلها مرادفة لها في المعنى يقول:

يجليه طيف **شعاعك** المتداني[4]

ويبدو أن كلمة شعاع تعني الكثير لدى الشاعر لأننا لا نجدها فقط في قصيدته (شعاع الماضي) بل نجدها أيضا في قصائد أخرى وفي كل مرة تشحن بمدلولات أخرى يجتمع معظمها في كونها توحي بالنور والأمل والجمال والاخضرار يقول في قصيدة (نشوة الروح)[5]:

أنت يا روعة الخلود **شعاعي**[6]

ويعيد هذا المقطع مرتين في قصيدته.

ويقول في قصيدة (تاج العرب)[7]:

وتبسط **بالإشعاع** عن كل جاذب[1]

(1): ينظر: بسام قطوس، السيمياء والعنوان، وزارة الثقافة، مطبعة البهجة، عمان، الأردن،2002، ص: 31.
(2): ينظر: المرجع نفسه، ص: 101.
(3): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:25.
(4): المصدر نفسه، ص: 24.
(5): المصدر نفسه، ص: 59.
(6): المصدر نفسه، ص: 59.
(7):المصدر نفسه، ص:27.

(1): المصدر نفسه، ص: 28.

ويقول في قصيدة (الشرق)(1):

وترى النفس **كالشعاع** الرشيد(2)

ويقول في قصيدة (أوتار قلبي)(3):

أن تضيء **أشعة** الكون نجما(4)

ويقول في قصيدة (مصرع غرام)(5):

شعاعة حب حواه الخلود(6)

ويقول في قصيدة (طريقي)(7):

كيف عانقت **شعاع** المجد أحمر(8)

ويقول في قصيدة (القلب الصوفي)(9):

فتحطم القيثارة تطفئ **الشعاع**(10)

ويقول في قصيدة (شيء لا يباح)(11):

كم مرة **تشعشعت** كروم(12)

(1): المصدر نفسه، ص: 91.
(2): المصدر نفسه، ص: 92.
(3): المصدر نفسه، ص: 103
(4): المصدر نفسه، ص:109
(5): المصدر نفسه، ص: 107.
(6): المصدر نفسه، ص:108.
(7): المصدر نفسه، ص: 141.
(8): المصدر نفسه، ص: 144.
(9): المصدر نفسه، ص: 339.
(10): المصدر نفسه، ص: 339.
(11): المصدر نفسه، ص: 351.
(12): المصدر نفسه، ص: 352.

ويقول في قصيدة (نجمة الغروب)[1]:

والحزن يا خابية **الشعاع**

لأننا لا نملك **الشعاع**

أواه حزينة **الشعاع**[2]

لقد استخدم كلمة "شعاع" في العديد من قصائده، وفي كل مرة يكسبها بريقا من النور، والأمل ويضعها في موضع الجمال والنور لتمتص الظلام.

ونحاول الآن العبور إلى عنوان "تاج العرب" لنرسم بعض الوقفات:

فقصيدة تاج العرب مهداة إلى الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي" [3] فأصل هذا العنوان -أي تقدير الكلام فيه هذا تاج العرب، فتكون بذلك "تاج العرب" في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا "البشير الإبراهيمي" * وربما أراد الشاعر أن يكون هذا العنوان هكذا "تاج العرب" لأن تفكيره موجه نحو هذه الصفة، لأنه يراه تاجا جميلا وضاء فوق رأس العرب يتباهون به في كل مكان وفي كل زمان، ويبقى نورا ساطعا لا تأتي السنوات بمثله مهما حبلت بالمفكرين والعباقرة... ومن هنا يتجلى لنا أن سلطة الخطاب تتأسس على الانفتاح وتضمر وتتقلص مع الانغلاق لتترك المساحة فارغة تشغلها سلطات أخرى تعود إلى الرصيد المعرفي للقارئ في حد ذاته [4]، وهنا تبرز جدارة القارئ في التحليل والتأويل...

إن إلقاء نظرة سريعة على هذا العنوان تستوقفنا لحظة لنتساءل لماذا لم يصرح الشاعر باسم البشير الإبراهيمي في العنوان؟ ألم يكن بإمكانه أن يقول "البشير الإبراهيمي تاج العرب؟ أم أنه يدرك أن هذا العنوان يناسب الإبراهيمي دون غيره فلا يرحل ذهن القارئ إلى شخصيات تاريخية أخرى؟ ولماذا اكتفى بذكر اسمه في الإهداء دون النص؟ وإذا أردنا أن نلعب لعبة إخفاء العنوان لاكتشافه من

---

(1): المصدر نفسه، ص: 359.
(2): المصدر نفسه، ص: 359-360.
(3): المصدر نفسه، ص: 27.
*: لأن الإبراهيمي يمثل الزمن الأخضر لأنه رئيس جمعية العلماء المسلمين.
(4): ينظر: حسين خمري، شعرية الانزياح في قصيدة "يا امرأة من ورق التوت"، منشورات النادي الأدبي، جامعة منتوري، قسنطينة، ص250.

خلال النص، فهل نستطيع أن نصل إليه دون أن تراودنا شكوك في غيره؟ فتبرز هاهنا قيمة الإهداء ويظهر دوره الفعال في محو الضباب على العنوان، بل أكثر من ذلك تتجلى العلاقة المتكاملة بينه وبين الإهداء لتمتد جذورها إلى النص فتسقيه لتروي عطش القارئ... بل يمتد هذا إلى العنوان الأصلي الذي يمثل الزمن الأخضر، وباعتبار أن العنوان نص مواز ذو نظام دلالي يرمز ببنيته إلى النص الشعري حتى في مستواه العميق، فهو مثله تماما [1] ينتج من تجربة شعرية تعكس كل أحاسيسها في العنوان أولا، لأن "التجربة الإنسانية التي يستعرضها الديوان الشعري تحفل بالصدق لأنها تنهل من معجم الذات المنكسرة الحبلى بالهزائم ومعاني الانهيار، وثانيا لكونها صدى لمعاناة داخلية يستعر لهيبها في الأعماق، وتنفجر براكينها بالأنين والصراخ والبكاء بحثا عن تعويض نفسي يحرص هذه الذات على مقاومة لعنة الغربة السحيقة [2].

ومادام العنوان يعني طبيعة النص، ويسهل على القارئ عمله، فهو بذلك يعلن عن مقصدية ونوايا المبدع، ومراميه الإيديولوجية [3].

إن عنوان "تاج العرب" يمنح إمكانيات قرائية عديدة دون الوقوف على واحدة مخصوصة ولذلك فهو ينطوي على أفكار عديدة تنكشف في كل محاولة للقراءة وكذلك الأمر مع مختلف العناوين الاسمية في هذا الديوان، فعنوان "بحيرة الأحزان" [4] عنوان يشير منذ البداية إلى عدة قراءات، وقبل أن نذهب إلى ذلك نتوقف لحظة لنبين محله الإعرابي: فبحيرة الأحزان خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هذه" فيكون تقدير الكلام "هذه بحيرة الأحزان"، وقد وردت جل عناوين الديوان بهذه الصيغة، وهي تقنية مميزة في العناوين عند أبي القاسم سعد الله، إذ أن معظم عناوينه وردت جملة خبرية لمبتدأ محذوف يختلف التقدير فيه باختلاف الجملة الخبرية الواردة ضمنه.

إن البحث عن الدلالات التي يحملها عنوان "بحيرة الأحزان" يدفعنا إلى تقسيم هذا العنوان إلى كلمتين "بحيرة" و"الأحزان" والبحث عن دلالات كل كلمة على حدا، ثم الربط بينهما للوصول فيما بعد إلى ما يرمز إليه هذا العنوان من منظور ثقافة القارئ وتراث الشاعر، وعليه فإن البحث في

---

(1): ينظر: بسام قطوس، سيمياء العنوان، ص: 37.
(2): عبد الكريم شيرو، التجربة الشعرية عند ابي القاسم سعد الله، ص:34.
(3): مجلة عالم الفكر، ع3، يناير/مارس، 1997 ص: 109.
(4): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:315.

القواميس عن معنى "بحيرة" يوصلنا إلى أنها: "مجتمع الماء تحيط به أرض" [1]، أما الأحزان فهي جمع "حزن"، نقول "حزن الأمر فلانا حزنا: غمه [2]، قال تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ [3] والربط بينهما يوحي بأن هناك شيء إيجابي (البحيرة) أضيف إليه شيء سلبي (الأحزان) والمعروف أن السالب والموجب لا يلتقيان، فكيف التقيا في هذا العنوان؟

إن كلمة بحيرة تبعث في النفس الراحة والطمأنينة والحياة، غير أن الشاعر أضاف إليها كلمة الأحزان التي تبعث في النفس النبذ والكره والاشمئزاز والإحباط، والموت،... ومعنى ذلك أن عنوان (بحيرة الأحزان) يجمع بين كلمتين متضادتين، فنحن حينما نسمع لفظة بحيرة نقرنها بمعان أو نعوت إيجابية تبعث على الفرح والسعادة والأمل، ونحن حينما نقرأ النصوص نلجأ إلى المحاكاة ولما هو شائع ومعروف، فيأتي الشاعر ليكسر الصورة النمطية، فيجمع الأحزان مع البحيرة، وهكذا يحيط جو شبه جنائزي بهذا العنوان الذي له أبعاده ورموزه التي تفرض علينا أن نطرح السؤال التالي: هل الشاعر يقصد بالبحيرة معناها الحقيقي الذي هو بركة من الماء تحيط به أرض، أم أنه يرمز بها إلى شيء في نفسه؟ وهل النص المندرج ضمن هذا العنوان يستطيع الإجابة عن ذلك السؤال؟

---

[1]: إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط ، ص: 40.
[2]: المرجع نفسه، ص: 171.
[3]: يوسف/ 84.

إن الشاعر يقول:

الكون في منظاره
بحيرة كئيبة الأعماق
وقد لفها النسيان..
والصمت و العياء
من ألف عام
لم تلمس الرياح سطحها
ولم تحرك ميت الأوراق
عن وجهها الدفين ..[1]

إذا تأملنا هذه الأبيات فإننا نجد بأن الشاعر يشبه الكون في منظاره ببحيرة كئيبة الأعماق قد تكون البحيرة هي هذا الكون الكبير، فهل هذا التشبيه يجيب عن السؤال السابق، أم أنه يفتح آفاقا أخرى لاحتمالات أكثر اقتراب من نفس القارئ، ألا يوجد احتمال أن بحيرة الأحزان هي قلب الشاعر الذي تسكنه الأحزان؟

لم تلمس الرياح سطحها
ولم تحرك ميت الأوراق
عن وجهها الدفين
الصمت والنسيان
والذكريات الآسنات في الأغوار
ونفسه الجريح والعياء [2]

من المؤكد أنه ما من بحيرة لم تلمس الرياح سطحها، وفي هذه اللحظة تفقد البحيرة معناها الحقيقي لتكتسي معنا آخر خارقا لحقيقتها، وتظل الاحتمالات واردة تتواكب في ذهن القارئ كلما

(1): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:315.
(2): المصدر نفسه، ص: 315.

أفلت نور من كهف القصيدة، فبحيرة الأحزان قد تكون هي ذلك الأمل الضائع حينما اصفر الاخضرار:

ونفسه الجريح والعياء

تعيده لأمسه الفرحان

للعالم المصبوغ بالنهار

للذكريات الخضر كالأمل

على ضفافها، بحيرة الأحزان (1)

ولعل التاريخ الموقع آخر القصيدة والمتمثل في (1957)(2) يزيل جزءا كبيرا من الضباب على عنوان (بحيرة الأحزان)؛ لأنه يعكس أكبر حدث مرت به الجزائر، وأكبر تجربة عاشها الشاعر، لأن أبا القاسم سعد الله كان "من شعراء النضال والثورة الذين أسهموا بشعرهم أثناء الثورة، للتعريف بالقضية الجزائرية مع الاستعمار الفرنسي، ومعاناة الجزائر في ذلك وطنا وأمة" (3)؛ وفي هذه اللحظة يبرز احتمال كبير في أن عنوان (بحيرة الأحزان)، يشير إلى ذلك الأمان الذي ضيعه الاستعمار، فالبحيرة هي الماء والماء هو الحياة، وإذا اقترنت هذه الأخيرة بالأحزان نحس أن شيئا ما أفقدها جمالها وعذوبتها يقول:

للذكريات الخضر كالأمل

على ضفافها، بحيرة الأحزان !

والكون في منظاره

....

بحيرة كئيبة الأعماق (4)

(1): المصدر نفسه، ص: 315.
(2): المصدر نفسه، ص: 316.
(3): عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا ... وأنواعا، وقضايا ... وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 05- 1995، ص: 76.
(4): المصدر نفسه، ص: 316.

وهكذا وإن كانت قصيدة (بحيرة الأحزان)، فهي أيضا توق إلى مستقبل مضيء يولد من لحظات التأزم الفاعلة المندفعة لا المستكينة المستسلمة، وفي ظلالها وعد بالبشرى للنصر على الأعداء، ولعزة والكرامة للإنسان في كل مكان [1].

وخلاصة القول فإن الشاعر أبا القاسم سعد الله تجاوز الزمن التقليدي، وضرب الذكر عنه صفحات حين قفز عن الأفعال أو ما يدل عليها، ليركب عمام الأسماء، بكل ما تحمله من تراكم معرفي ووعي متجدد، والتي تفرض علينا التعايش معها وفق ما تقتضيه الثقافة لذلك، وقد لجأ إلى العناوين الاسمية ليخلد أفكاره وتصوراته فتبقى راسخة تخدم الإنسانية في كل مكان وفي كل زمان، فهي خالدة خلود تلك الأسماء.

(1): المرجع نفسه، ص: 74.

ب/ العناوين الفعلية:

تمهيد:

إن ما يلفت النظر في العناوين الفعلية في ديوان "الزمن الأخضر" هو أنها لم ترد بنسبة كبيرة في الديوان، إذ جاءت بنسبة 2,47% إذ توجد ثلاثة عناوين فقط من ضمن مائة وإحدى وعشرين عنوان، وسنحاول استنطاق ما ورد من عناوين فعلية في الديوان، موضحين تقنيات الشاعر في تصويرها، مبينين دلالاتها، وما ترمز إليه من أبعاد، وأول عنوان يصادفنا من هذا النوع هو:(قالت وقلت) [1].

إن أول نظرة في هذا الديوان تشير إلى أن: قالت: جملة فعلية معطوفة على جملة فعلية أخرى وهي قلت، بواسطة حرف العطف "واو"، وقد تحدث النحاة العرب القدامى عن الجملة الفعلية في أبواب نحوية كثيرة، وأشمل تعريف لها ما ذكره ابن هشام:"تسمى فعلية، إن بدأت بفعل سواء كان ماضيا، أو مضارعا، أو أمرا، وسواء كان الفعل متصرفا، أم جامدا ..." [2].

كما يرى إبراهيم أنيس أن "الجملة الفعلية هي ما اشتملت على فعل" [3].

أما التعريف الحديث للجملة الفعلية فيبنى على كون المسند فعلا، تقدم أو تأخر، أو دالا على التجديد، يقول المخزومي معرفا الجملة الفعلية :"هي ما كان المسند فيها فعلا سواء أتقدم المسند إليه أم تأخر، تغيرت صورة الفعل فيها أم لم تتغير"[4]، وعنوان (قالت وقلت) يوحي بأن هناك حوار يدور بين امرأة مضمرة في التاء الساكنة، وبين الأنا المضمر في تاء المتكلم في الجملة الثانية المعطوفة.

ويبدو أن زمن حدوث هذا الحوار ماض، لأن نوع الجملة وزمنها يتحددان بعنصر الفعل [5] الذي هو ما دل على حدث وزمان ماض أو مستقبل على حد تعريف الزجاجي للفعل [6]، الذي

(1): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:99.
(2): حاشية السنواني على شرح مقدمة الإعراب، ج، ص:51، نقلا: عن محمد كركبي، بنية الجملة في الأدب الكبير لابن المقفع، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة، جامعة عنابة،1406- 1986، ص: 130.
(3): إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهر، الطبعة الثالثة1966، ص: 289.
(4): مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى1964، ص: 47.
(5): ينظر: محمد كراكبي، بنية الجملة في الأدب الكبير لابن المقفع، ص:134.
(6): ينظر: الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق)، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، 1979، ص: 52.

يتجسد في عنوان (قالت وقلت) في قوله: قالت وفي قوله: قلت، وقد سعى النحاة العرب إلى توضيح فكرة الزمن الفعلي[1] لكنهم لم يحيطوا بكل الأزمنة الممكنة للفعل، وتظل مجرد حكم نسبي.

وفي عنوان "قالت وقلت" ورد هذا الفعل مرتين في زمن واحد هو الزمن الماضي الذي يوحي بأن الحوار القائم جرى في زمن مضى.

غير أن زمن الفعل الأول "قالت" أبعد من زمن الفعل الثاني "قلت"؛ لأن الفعل الأول يقع قبل الفعل الثاني، والدليل على ذلك أن الأنا المتحدث في الفعل "قلتُ" قد استمع إلى الآخر المتحدث في الفعل "قالت" ثم استجاب لها بالفعل "قلت" وهذا ما يوضحه النص:

قالت: عجيب !
أنسيت ماضيك الرهيب
أيام كنت تديريني
في حضنك القاسي الشبوب
جسمي يذوب
قلت اصفحي ![2]

ويبدو أن المدة التي استغرقها الفعل الأول أطول من اللحظة التي أجاب فيها القائل في أول لحظة قول: **قلت: اصفحي**[3]

كما أن الزمن الذي استغرقه الفعل "قالت" أطول بكثير من الزمن الذي استغرقه الفعل قلت ولعل ذلك يرجع إلى مضمون النص الذي يستدعي الوقوف عند المتحدثة أكثر من المتحدث، كما أن القصيدة تبتدئ بالفعل الأول "قالت" ثم يليه الفعل الثاني "قلت" وهو ما يطابق العنوان تماما (قالت وقلت).

([1]): ينظر: سيبويه، الكتاب تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخارجي، القاهرة دار الرفاعي بالرياض، ط2، ج1، 1983، ص: 15.

([2]): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:99- 100.
([3]): المصدر نفسه، ص: 100.

قالت عجيب !

قلت: اصفحي [1]

وهذا العنوان يرسم في ذهن القارئ حتما جملة من الأسئلة التي لا يجيب عنها سوى النص المندرج ضمنه، وبالتالي فهو لا يشير إشارة كبيرة إلى مضمون القصيدة، إلا أنه يثير وجع القراءة فتطرح الأسئلة التالية:

من تكون هذه التي تتحدث؟ ومن هو الأنا الذي يجيبها؟ وماهو المحور الذي يدور حوله الحوار؟ كل هذه الأسئلة يجيب عنها مضمون النص، لأن هذا العنوان "لا يعمل على استثمار طاقات المفردة"[2] التي لها وزنها في الأدب الذي يتمتع بعدة قدرات -كما يقول بارت- من بينها "قدرته السيميولوجية، قدرته أن يلعب لعبة الدلائل" [3]، فتركت هذه المهمة للقارئ ليبحث في مضمون النص الذي يشير إلى قضية اجتماعية أخلاقية في شكل قصة تستند على الحوار، بطلتها فتاة صغيرة كان كل حلمها أن تشكل أسرة، وتعيش في سعادة، لكن قدرها حال دون ذلك، لتقع ضحية نزوة عابرة لكاذب محتال:

قالت: عجيب !
أنسيت ماضيك الرهيب
أيام كنت تديريني
في حضنك القاسي الشبوب
جسمي يذوب
وضممتني كالوحش يا قبو الذنوب
وأكلت لي ثغري الخضيب

([1]): أبوالقاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:99- 100.
([2]): نسيمة بن عباس، استراتيجية العنونة عند محمود درويش مقاربة سيميائية، ص:21.
([3]): رولان بارت، درس السيميولوجية، تر:عبد العزيز بن عبد العالي،دار توبقال للنشر،ط3، 1993، ص:20، نقلا عن المرجع السابق، ص:21.

وشبعت من جسدي الرطيب

أواه من عبث الغيوب ![1]

وهكذا تشاء الأقدار أن تعبث بها الغيوب، فتنكسر كل أحلامها في لحظات تافهة، وقوله:

أيام كنت تديريني[2]

دليل على أنها فتاة صغيرة ساذجة، لا تملك خبرة كبيرة في الحياة؛ لأن الشيء الذي تديره لين بعيد عن النضج والوعي، وبكل دناءة يعطيها الفاعل لحظة زمن قصيرة ليقول لها:

قلت: أصفحي !

قالت: غريب !

أو لم تقل لي مغريا متهالكا كالذيب

سأصير زوجك عن قريب

وتشاطريني الأنس يا أملي الحبيب"[3]

وعندما تنكشف الحقيقة تسقط كل الأكاذيب، وتتلاشى الآمال خلف ذاك السراب البعيد، فتدرك حينها الفتاة أن تلك الوعود الوردية لم تكن سوى أكاذيب سوداء من أجل إرضاء نزوة عابرة، حينها تظلم الدنيا في سمائها، فيمتد ظلامها ليشمل الحاضر والمستقبل، وهل للندم دواء بعدها؟ يقول:

حتى إذ برد اللهيب

وفضحتني في الناس، يا وجه الخطوب

فيئست من كل القلوب

وكرهت هاتيك القلوب

([1]): أبو القاسم سعد الله: ديوان الزمن الأخضر، ص:99.
([2]): المصدر نفسه، ص: 99.
([3]): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:100.

وتبدت الدنيا غروب...

حتى ...وحتى يا كذوب [1]

وتمر لحظات الحوار حاملة معها ألما رهيبا يزداد عمقا وفضاعة كلما تحدث الأنا بسخرية عجيبة:

إني أرها كأختها شركا مريب

لا تطمعن في مثلها

فقد اغتسلت بعارها

بل واكتويت بنارها ! [2]

ويستمر الحوار في المقطع الأخير من القصيدة والواضح أن الغضب بلع ذروته، وأن السيل بلغ الزبى، لأن الشباب أصبح عذابا، وتنتهي القصة الشعرية الحوارية نهاية درامية أصبح فيها الزمن الأخضر سرابا ضائعا...

قلت: ارحمي قلبي الصغير !

قالت: غرور !

قلت: أشفقي عن حبنا !

قالت: أنا؟ لست أنا..

قلت: الشباب؟

قالت: عذاب !

قلت: الهوى؟

قالت: ذوي.. !

من كان مثلي يائسا

(1): المصدر نفسه، ص: 100

(2): المصدر نفسه، ص: 100.

فليحترق توا أسى [1]

وهكذا يكون مضمون النص قد أزاح الضباب على العنوان لتظهر الصورة الفنية واضحة أمام القارئ حينما يقدم له النص الحوار كاملا بين يديه، فيبرز هذا التكامل بين النص والعنوان الذي يمثل الواجهة النصية لكل عمل، ولهذا أصبح يمثل في الإبداع المعاصر إشارة أولى ضمن عملية القراءة، كما يمثل المدخل للولوج إلى النص، ولهذا أصبح النص يدعو قارئه عبر العنوان [2] ليفك ألغازه، ويغوص في مضمونه، وجملة مقول القول في عنوان "قالت وقلت" محذوفة، ولعل تقدير هذا الحذف هو الحوار الذي يجسد النص بأكمله ففي كل لحظة حوار نلمس جملة مقول القول المحذوفة، والتي تختلف باختلاف مضمونها في الحوار، ولعل ذلك ما يبرر التكامل بين العنوان والنص:

قالت: عجيب !

أنسيت ماضيك الرهيب

قلت: اصفحي

قالت: غريب.. !

من كان مثلي يائسا

فليحترق توا أسى [3]

"إن العنوان هو الشيء الذي يجد المؤلف كثيرا في اختياره وانتقائه دون غيره من الكلمات أو الجمل، ليكون وسام القصيدة" [4]، ولذلك يشير أبو القاسم سعد الله في آخر هذه القصيدة بأنه كان كان لها "عدة عناوين منها، قبلة حمراء، وقصة مظلومة، وقصة خطبتها" [5].

والواضح أن الشاعر يركز على كلمة "قصة" في العناوين المقترحة، وهذا ما يثبته النص بالفعل؛ لأنه يشتمل على العناصر الأساسية في القصة كما هو موضح في النص، كما أن تعدد العناوين السابقة توحي بحيرة الشاعر في اختيار العنوان الذي يسع النص ويلفه، وفي كل مرة يقترح

(1): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:101.
(2): ينظر: الصالح زكور، ديوان اللؤلؤة لعثمان لوصيف، دراسة في سيمياء العنوان، ص:26.
(3): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:99- 100- 101.
(4): هند سعدوني، قراءة في سيمياء لقصيدة "مدينتي"، منشورات النادي الأدبي، جامعة منتوري، قسنطينة.
(5): المصدر نفسه، ص: 101.

عنوانا إلى أن استقر على عنوان "قالت وقلت" الذي له سلطته الخاصة في النص، ونفوذه الكبير إلى المضمون انطلاقا من "كونه في العادة عبارة قصيرة يراد منها أن تدل على معنى كثير" أي هو رمز لأشياء كثيرة متنوعة ومختلفة، ومن خصائص الرمز أنه يمتلك قوة الاشتمال أو الاحتواء، قوة ينشر بها نفوذه إلى أوسع مدى"[1]، هذا النفوذ الذي يلف النص كله، ويتكئ على كل مضمونه ومعانيه، فإذا بالنص يسرد الحوار ويجسد العنوان (قالت وقلت)، وإذا به يروي عطش القارئ في هذا الحوار، فتبرز هاهنا أهمية هذا العنوان على اعتباره "أهم علامة سيميائية في أي نص إبداعي، بل أكثر من ذلك إذ نستطيع القول بأن القصيدة (النص الإبداعي) عالم، والعنوان عالم آخر، إنه العالم الأول الذي يتلقف القارئ بسرعة وعلى لهفة لينقله مباشرة إلى جو العالم الثاني ألا وهو القصيدة (النص الإبداعي)" [2] وذلك ما حدث بالضبط مع عنوان "قالت وقلت" إذ بمجرد الدخول في عالم هذا العنوان يجد القارئ نفسه يلج النص الإبداعي ليطفئ ضمأ القراءة فيه.

وإذا تأملنا جيدا عنوان "قالت وقلت" فإننا نلمس جمالية هذا العنوان من خلال وقعه الموسيقي، وكأن هذه الخاصية الجمالية بمثابة "العقد الجميل في أذن المرأة، والمبرر لجمالها وحسن اختيارها ورقة ذوقها المقابل لحس الشاعر وامتلاكه لناصية اللغة وجمال تعابيرها وتخريج إيحاءاتها" [3].

إذ بإمكان الشاعر أن يقول "قلت وقالت" غير أنه وجد في قوله "قالت وقلت" جمالا وموضوعا فنيا معبرا، فصاغه على ذلك الشكل لأنه الأدرى بموضوعه الفني.

إن هذا العنوان له أبعاده النفسية والاجتماعية والخلقية، فكل قارئ يقرؤه يجد نفسه يتبناه لأن تاء المتكلم في "قُلْتُ" تفرض ذلك على القارئ، ولذلك فقد صيغ هذا العنوان من خلال فاعلية التأثر والتأثير، إذ الخطاب الأدبي صوغ جمالي لا يشير إلى صوت قائله —أو وجهة نظره فقط- بل يشير إلى صوت الآخر في الجوهر بين طرفين، ومنها اكتسبت هذه العلاقة، أو تقنعت، فظلت في الجوهر علاقة حوارية جدلية تلبس الخطاب الأدبي بشكل كامل"[4]، والعنوان الذي بين أيدينا يجسد الحوار في النص

([1]): محمد عابدي الجابري، التراث والحداثة (دراسات ومناقشات)، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991، ص: 49، نقلا عن: هجيرة لعور، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، ص:155.
([2]): هند سعدوني، قراءة سيميائية لقصيدة "مدينتي"، ص:167.
([3]): المرجع نفسه، ص:168.
([4]): فضل ثامر، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والتطبيق في الخطاب الحديث، م ث ع، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، ط1 1994، ص: 244.

بشكل مباشر حتى عد النص"كون حواري تتجلى فيه علاقة الأنا الجدلية المستمرة بالآخر" [1] وللقارئ أن يتطلع على النص كشيء مكتف بذاته، بل بوصفه بنية جمالية واعية موجهة نحو الآخر في علاقة حوارية جدلية صريحة وضمنية، لأن معنى النص المرتبط بالعنوان يظل ناقصا بمعزل عن الآخر الذي يسهم بدوره، وفق شروط اجتماعية أخلاقية في توليد المعنى وإنتاجه [2].

وتقنية الحوار التي نلمسها في النص الشعري الذي يندرج ضمن عنوان "قالت وقلت" تعتبر مفيدة للقارئ لأنها تخرجه من قوقعة الأنا ليتعرف على الآخر، بل أكثر من ذلك تساعدنا على التعرف على ذواتنا من خلال الآخر، واختلاف الأصوات في النص قد يُكوّن شيئا من الفوضى، إلا أنه يفرض شعريته ومساهمته في البناء الفني للنص الذي يمثل ذلك الكائن المراوغ والمتغير الذي ينتجه الحوار بين المنتج الأول والقارئ [3].

ويبقى هذا العنوان "قالت وقلت" بمثابة "المبتدأ الذي هو في حاجة إلى خبر يتم معناه ويكون دون شك القصيدة" [4] التي تبقى هي المرجع الأساسي الذي بإمكانه أن يفك شفرات العنوان وهذا الأخير عليه أن يثير ويوقظ آلية التأويل عند القارئ بأقل عدد ممكن من الدوال، لكن عليه أن يتوارى خلف عمله إذ يجب ألا يغيب عن أذهاننا أنه يقدم للنص، واختزاله للنص لا يعني بالضرورة الاستغناء عن قراءة الإبداع الفني[5]، إنما هو أفق نحو التواصل بفعل الحوار.

ونمر إلى عنوان آخر في هذا الباب وسمه الشاعر بـــ (أحبك) [6]، وهذا العنوان يمثل جملة فعلية فعلية فاعلها محذوف تقديره هو، وفعلها متعد يحتاج إلى مفعول به جاء في شكل حرف "كاف" (أحبكَ)، وهذا الحرف يرمز إلى شخص انصبت نحوه مشاعر الحب، غير أن قراءة سريعة في الإهداء تفك لغزه بوضوح إذ يقول الشاعر "تذكرت ولدي وأنا بالقاهرة في مهمة وهو في الجزائر فاشتد شوقي إليه"[7] فيزول الضباب أمام القارئ، ليدرك أن الكاف ترمز إلى ابن الشاعر، لكن هل العمل الإبداعي الذي يندرج ضمن هذا العنوان يزيل تلك الضبابية بعيدا عن الإهداء؟ وماهي آفاق امتداد

([1]): حليمة قطاي، استراتيجية العنوان في الكتاب النقدي القديم،ص:73.
([2]): ينظر: فضل ثامر، اللغة الثانية، ص:244.
([3]): ينظر: جوليا كريستيفا، علم النص،تر: فريد الزاهيني، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء،1991، ص: 79.
([4]): هند سعدوني، قراءة سيميائية لقصيدة "مدينتي"، ص:168.
([5]): ينظر: نسيمة بن عباس، إستراتيجية العنونة عند محمود درويش، مقاربة سيميائية، ص78.
([6]): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:377.
([7]): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:377.

هذا العنوان إلى النص الشعري؟ وهل تلك الكاف تشكل عقدة للقارئ، فيضع جملة من الاحتمالات قد تمتد بعمق في ذهنه فيضع تحتها الكسرة لتصبح "كِ" ويصبح العنوان "أحبكِ"؟

هل فعلا ذاك الشوق في الإهداء هو لفلذة الكبد؟ أم أن الشاعر جعل من ولده واجهة يتوارى خلفها ليبوح بضغط حسي دفين تمنعه ظروف صعبة من البوح به؟ وكل هذه تبقى مجرد احتمالات يقف الإهداء أمامها ليمنع القارئ من السفر بعيدا، ويظل هذا الإبداع تقنية بارعة في صوغ العناوين توقظ في النفس وجع القراءة، فتبرز هاهنا وظائف العنوان الفنية: من تحريض وإشارة، وتنبيه، وحث، وتوجيه، وتعيين وإحالة وتوريط" (1).

وعنوان (أحبك) يوحي بالكثير من المعاني الجميلة التي يرتاح لها كل إنسان، والحب هو الوداد وعند (الفلاسفة) "ميل إلى الأشخاص أو الأشياء العزيزة، أو الجذابة أو النافعة" (2).

كما يمثل أسمى شعور يهز كيان الإنسان ويزعزع أعماقه، إنه "يمد صداه العظيم ويتغلغل في أعماق القلوب المتحجرة، وفي الجلاميد الصلبة، فتزول الغطرسة وينهزم الجبروت، فإذا الإنسان يلابس فطرته التي فطره الله عليها، ولهذا كثيرا ما نجد في الشعر هذه الظاهرة التي تتدفق عاطفة، وتنهمر أحاسيسا وتتضوع ألما" (3) وخير وسيلة يلجأ إليها الإنسان للتعبير عن هذا الشعور الجميل هي اللغة؛ لأنها تمثل "التعبير المنسق الجميل المناسب للشعور، والمنبثق عن تجربة شعورية معينة بل هي التعبير المستنفد للطاقات الوجدانية في نسيج محكم، بشكل وحدة تعبيرية، متلائمة أجراسا وظلالا وصورا وإيقاعات"(4) تنقل الإحساس إلى المتلقي فتولد فيه شعورا مماثلا، كما أنها "أداة الفنون الأدبية المختلفة المختلفة وعلى رأسها الشعر الذي يتحقق بها كيانه" (5) والذي يعتبر من أضخم الأمور التي تعبر عن شعور الحب، وقد أدرك الشاعر أبو القاسم سعد الله هذه الحقيقة إذ يقول "بدأت نظم الشعر برصيد لغوي محدود ثم أخذت أضيف إليه من المحفوظات ومن تجارب الحياة ما جعله رصيدا غنيا إلى حد ما"(6)؛ لأنه يدرك أن "الكلمة تعتبر الريشة التي يرسم بها الشاعر صورته الفنية وينقل بها تجربته

(1): حليمة قطاي، إستراتيجية العنوان في الكتاب النقدي القديم، ص:19.
(2): إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، ج1، اسطنبول، تركيا، ص: 151.
(3): فهيمة بوقندورة، جدلية الحب والموت في ديوان سميح القاسم في انتظار طائر الرعد، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس في الأدب العربي، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية،1999- 2000، ص: 15.
(4): عز الدين إسماعيل، الشعر المعاصر قضاياه وظواهره الفنية، دار العودة، بيروت، ط1، 1981، ص: 146.
(5): عبد الكريم شيرو، التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، ص:58.
(6): أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، ص: 190.

الشعرية"[1]، فاللفظة وعاء لنقل الأفكار، يُحتشد فيها قدر كبير من المشاعر والأحاسيس والظلال كما تحمل تراثا متراكما من المشاعر المختزلة، إذ كلمة واحدة قد تختزل كما هائلا من الأحاسيس كما يختزل العنوان أحيانا ديوانا بأسره، وأحسن مثال نضربه لذلك هو كلمة "الحب" التي تحتشد كومة من المشاعر المختلفة إنها كلمة من حرفين لكنها تضرب بعمق في القلب الإنساني، وأبو القاسم سعد الله من الشعراء الذين يقدسون اللغة، ويرون فيها رمزا لا ينبغي تجاوزه، إذ كان يتعامل معها "تعامل المستشير لا تعاملا آخر، تعامل المتذوق المختار، لا تعامل المتعسف المستهتر" [2] على حد قوله، قوله، لأنه يؤمن أن المرء يظل يكتسب اللغة ما بقي على قيد الحياة، لأن الاختراعات والمصطلحات والقدرة على تطويع اللغة للتعبير عن الحاجة الإبداعية يظل ينمو مع الأيام [3]، ولذلك جاء عنوان (أحبك) ليس فقط ليختزل القصيدة بل ليستوعب ما يختلج في قلب الشاعر من شوق وحنين لابنه الذي كان بالجزائر عندما كان هو في القاهرة [4] فاشتد الشوق إليه لأن البعد يزيد من حدة الشوق ولأن الحنين إلى الأبناء فطرة سامية بثها الله سبحانه وتعالى في كافة المخلوقات، والإنسان مجبول على الحنان إلى أكباده وهو بين ظهرانيهم، فما بالك وهو شاعر بينه وبينهم مسافات [5]:

ذكرتك، يا للمسافات بيني وبينك
فثار اشتياقي وهب الحنين
وعانقت هذا الفضاء الرحيبا
وقبلت رأسك والوجنتين [6]

إذ أن الأبناء هم رمز التواصل في حياة الإنسان، يرى فيهم نفسه وحياته، فموته لا يعني فناءه ما دام له أبناء [7]، ولذلك فحنين الشاعر إلى ابنه يرمز إلى حب الحياة والتشبث بها، يرمز إلى الزمن الأخضر الذي يبحث عنه الشاعر في ديوانه وفي نومه ويقضته، بل في كل حياته، ويرمز أيضا إلى النور

(1): عبد الكريم شيرو، التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، ص:58
(2): أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، ص: 191 .
(3): المصدر نفسه، ص: 191.
(4): ينظر أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:377.
(5): ينظر: محمد زغينة، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، رقم الإيداع القانوني 311- 2005، المكتبة الوطنية ردمك 2- 0750- 0-5947، 2004- 2005، ص: 54.
(6): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:377.
(7): ينظر: محمد زغينة، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص55.

الذي يسري في أعماق الفؤاد، والدفء الذي يقي من برد الشتاء القاسي، وكأنه الغيث الذي يغمر قلوب المزارعين بالفرحة بعد أيام الجفاف القاتلة [1]:

أحبك، أنت الزمان الضحوك
وأنت الربيع الذي لا يحول
ذكرتك، والكلمات العذاب على الشفتين
وقبلت رأسك والوجنتين [2]
وصوتك أحلى من آلاف لحن
تردد (حوا) * وتمسك بالجيب والساعدين [3]

إنه بوح عاطفي شجي به تتعمق التجربة الشعورية [4]، فيفيض الإحساس وينسكب الشعور، فإذا بعنوان (أحبك) يستوعب كل هذه المشاعر ولا غرابة في ذلك فالعنوان يحمل طاقة لغوية وفكرية[5] هائلة بإمكانها أن تسع ما لا يعد من العواطف، وكل قارئ يقرأ عنوان (أحبك) يشعر بأنه بأنه يعيش التجربة الشعورية ذاتها التي يتحدث عنها الشاعر؛ لأن هذا العنوان ينعكس على المتكلم فيتقمص التجربة، فكل من ينطق بهذا العنوان (أحبك) يتقمص التجربة ويشعر بحلاوة هذه الكلمة وعذوبتها، فيعكسها في ذهنه تجاه من يحب، وهذه التقنية نلمسها في كل العناوين الفعلية التي وردت في ديوان الزمن الأخضر، فكل من يقول (قالت وقلت) [6]؛ يشعر بأنه المعني بالأمر لأن تاء المتكلم تفرض ذلك، وكل من يقول (سنلتقي) [7] يحس بأنه ينتظر لقاء شخص ما؛ لأن ياء المتكلم تفرض ذلك على القارئ...

وهكذا أراد الشاعر لهذه العناوين –رغم قلتها– الخلود لتظل فاعلة في كل زمان وفي كل مكان مثلها مثل العناوين الاسمية، ويظهر التكامل واضح بينها لأن الحب يتولد منه اللقاء (سنلتقي)،

([1]): ينظر: أم سهام (عمايرية بلال)، جولة مع القصيدة، ص:107.
([2]): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:377.
*: حوا: اسم الحلوى عند الابن، ينظر الديوان، ص:377.
([3]): أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:377.
([4]): ينظر: محمد زغينة، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص:56.
([5]): ينظر: حليمة قطاي، إستراتيجية العنونة في الكتاب النقدي القديم، ص:123.
([6]): أبو القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص: 99.
([7]): المصدر نفسه، ص: 317.

والالتقاء يستوجب الحوار "قالت وقلت"، وكأنها ثلاثية بارعة الاختيار لأن تلك المعادلات لا تشع إلا في زمن أخضر وهو ما يحقق حلم الشاعر.

ج/ العناوين شبه جملة:

إن الجملة المصدّرة بحرف الجر تعد تركيبا لغويا بين المفرد والجملة، وتسمى هذه الحالة الوسطية عند النحاة العرب القدامى "شبه الجملة" (1)، وقد وردت هذه الحالة في عناوين ديوان "الزمن "الزمن الأخضر" بنسبة قليلة تقدر بــ 3.30% وهي نسبة ضئيلة جدا مقارنة مع عدد العناوين الموجودة في الديوان والتي تقدر بــ 121 عنوانا.

وأول عنوان يلفت النظر في هذا الباب هو "إلى أين" (2)، إنه عنوان في شكل سؤال، يحمل من من الحيرة ما يبعث في النفس جملة من الأسئلة، أولها هل يستطيع النص المندرج تحت هذا العنوان أن يجيب على هذا التساؤل؟ كما يبدو أن هناك ضياع وتيه خفي في هذا السؤال، غير أن نظرة سريعة في التاريخ المكتوب أسفل القصيدة والذي يتمثل في سنة 1954(3) تفتح آفاقا واسعة للقراءة، وتقطع خطوة طويلة في محو الحيرة من عنوان (إلى أين)، لأن أحدا لا يخفى عليه ماذا تمثل هذه الفترة التي وُلد فيها هذا العنوان... لقد كانت بحق مرحلة صعبة في تاريخ الجزائر، التقى فيها "الإنسان والطبيعة في موقف واحد، فأصبحت الإرادة واحدة تقاوم الظلم والطغيان والعبودية، وفي الوقت نفسه تزرع الأمل والحق والخير والثورة، وتعيد للطبيعة جمالها الحقيقي، وللإنسان طبيعته وإنسانيته، فتهدم ماضيا بل تغير عالما قديما بناه الشر لتبني عالما جديدا مضيئا ومليئا بالخير والحب والسلام" (4)، وهو حلم الشاعر الذي يناشده في كل حياته، فجاء العنوان (إلى أين)، ويبدو أن هناك جملة محذوفة من هذا السؤال، إذ تقدير الكلام فيه نسير إلى أين؟ أو إلى أين نسير؟ وهو الأقرب للذهن، وبذلك يرسم هذا العنوان نموذجا جيدا للعنوان القصير المختزل الذي لابد له من قرائن فوق لغوية توحي بما يتبعه (5)، كما يحتمل أكثر من توقع في القراءة من ضمنها أن "نتوقع ما سيتلو وما سيحكيه علينا الشاعر" (6) لأن السؤال في حد ذاته يحتمل أكثر من توقع، والواضح أنه مأخوذ من أول بيت في القصيدة:

1: ينظر: محمد كركبي، بنية الجملة في الأدب الكبير لابن المقفع، ص:106.
2: أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:111.
3: المصدر نفسه، ص: 115.
4: عبد الله ركيبي، " الأوراس" في الشعر العربي ودراسات أخرى، رقم النشر81/997، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982، ص: 9-10.
5: محمد مفتاح، دينامية النص تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1990، ص: 72.
6: المرجع نفسه، ص: 60.

إلى أين نسير؟[1]

إنه سؤال طُرح في أصعب الظروف والمحن التي كانت تمر بها الجزائر:

إلى أين نسير؟
والبرد يلفحنا
إن الجو أحمق
والسماء غاضبة
لقد بعدنا عن الكوخ
كوخنا المسكين
الذي جرفه السيل [2]

إن الشاعر يصور الجو العام الذي يحيط بهذا السؤال (إلى أين) في أضخم محنة عاشتها الجزائر، غير أنها "مثلت الحلم الذي تطلعت إليه الأجيال طويلا حتى كاد اليأس يتسرب إلى النفوس ولكنه تفجر كما تفجرت عواطف الشعب"[3] رغم قساوة الظروف:

إن الظلام يخيفني
والأشباح تتواثب أمامي
إني أخاف ... أشفق
لقد طال الطريق ...
ولم نصل
أختاه إلى أين نسير
في الظلام

....

[1]: أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:111.
[2]: أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:111.
[3]: عبد الله ركيبي، "الأوراس" في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص:72.

إن المشي يرهقني
وقدماي حافيتان
وهذه الخرق البالية
ماذا عساها تدفع عني
لقد طال الطريق ...
ولم نصل... (1)

يبدو أن الشاعر محق في طرح السؤال: إلى أين؟ لأن الطريق إلى النور يبدو بعيدا ومظلما وقاسيا، فقد بلغ الفقر ذروته وخيم الحرمان على الجميع، فإذا الطريق إلى النصر يبدو بعيدا ومتعبا:

وتدافعت قدماه
كأن الأرض تميد به

....

ودنا منها رويدا يتسمع ...
فإذا هي تقول:
أتذكر اليوم المطير
يوم زحف الشتاء ناقما
الشتاء، عدو أمثالنا
من البشر المنبوذ
وماهي إلا لحظة
حتى تدفق السيل صاخبا
من قمم الجبال الشاهقة (2)

---
[1]: المصدر نفسه، ص: 112.
[2]: المصدر نفسه، ص: 113– 114.

يبدو أن الطريق إلى النصر شاق ومتعب، غير أن السائرين فيه لهم إرادة من حديد، فحين نعود بالذاكرة إلى الماضي القريب أثناء الكفاح المسلح نتجه تلقائيا إلى الأوراس، إلى هذه الجبال الشامخة، إلى هذه القمم العالية؛ لأنها ارتبطت بالثورة، واقترن اسمها بثورة نوفمبر المجيدة، فمن هذه الجبال تفجّر بركان الثورة وزحفت الجموع الثائرة لتدك معاقل الاستعمار الفرنسي وأعوانه، وتكتب صفحة جديدة مشرقة ناصعة وغد أفضل يضمد جرح الاحتلال في القرن الماضي، ذلك الاحتلال الأسود الذي دمر كل شيء، ولطّخ بحيرة الأمان:

فأسرع أبي لإنقاذنا
من الموت المحقق
الموت الأسود العنيف
الذي اغتال أمي يوم كنت رضيعا
أمي المسكينة التي ماتت على الحشيش والأوحال
....
وتكبر الناس عن الإحسان إلينا ... (1)

ويستمر الشاعر في تصوير ذلك الواقع المؤلم الذي جسد بشاعة الاستعمار ودماره إلى أن يصل إلى آخر القصيدة ليعيد طرح السؤال مرة أخرى:

فإلى أين نسير يا ترى؟ (2)

ويبدو أن النص لا يملك إجابة شافية لهذا السؤال ولذلك يقول بعد طرح السؤال مباشرة:

فإلى أين نسير يا ترى؟
إنه لا يدري ... (3)

[1]: المصدر نفسه، ص: 114.
[2]: المصدر نفسه، ص: 115.
[3]: المصدر نفسه، ص: 115.

وبذلك لم يقدم النص إجابة شافية على سؤال العنوان، وترك هذه المهمة للقارئ، بل للزمن لأن تلك الفترة كانت في سنة 1954، ولذلك لا يزال الضباب يخيم على المستقبل، فكانت الإجابة مفتوحة مبعثرة:

وطفق الطفل يهذي
على رفيف الرياح...
ثم غرق في نوم مبعثر
مزعج بالأحلام والرؤى ... [1]

وهكذا يظل لهذا العنوان تقنية خفية في استفزاز القارئ ودفعه للإجابة حسب ثقافته وتفكيره.

ومن الحكمة أن يكون العنوان الموالي في هذا الباب هو (إلى جبل الأطلس) [2]، وكأنه إجابة على العنوان السابق ويمكننا صوغ الكلام بالطريقة التالية: إلى أين؟ فتكون الإجابة إلى جبل الأطلس، وهنا نتوصل إلى فكرة مجملها أن النص الذي اندرج ضمن عنوان (إلى أين) لم يعطنا جوابا شافيا ومباشرا عن السؤال، بينما العنوان الذي يليه في نفس الصنف أجاب بشكل مباشر عن السؤال، لتبرز هاهنا بسمة التخاطب بين العناوين بصفة مباشرة فنلمس في هذه الإستراتيجية جمالية العناوين بارزة في هذا التكامل بينها.

إن ما يلفت النظر في عنوان (إلى جبل الأطلس) أنه يشير إلى مضمون القصيدة واتجاهها الفكري الثوري، إذ بمجرد قراءته ترتسم الثورة أمام مخيلة القارئ، ويدعمها في ذلك التاريخ الموقّع آخر القصيدة "04 مايو 1956"[3] الذي يشير إلى الثورة التحريرية الكبرى في أوجها، كما أن قراءة قراءة هذا العنوان تبعث في النفس إحساسا خفيا بالحقد والكره تجاه العدو جراء ما تسبب به من أذى للجميع وهذا ما نجده في النص:

---

[1]: المصدر نفسه، ص: 115.
[2]: المصدر نفسه، ص: 213.
[3]: أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:216.

لقد أوسعونا هلاكا

وصبوا علينا الخراب

وحوش ضوار

قلوب حديد .. حجر

وأعين رعب مهوّل

وأوجه إثم وعار

وأيد ملطخة بالدماء

دماء الأجنة في بطنها

دماء الحبالى ... (1)

وفي نفس الوقت نشعر بأن هناك حاجز صلب واقف في وجه هذا الاستدمار:

ألا ليتهم واجهوا الثائرين

وهم في الحمى الأمنع

ألا ليتهم كالرجال

فيلقون حتفهم في الجبال

على يد أشبالك الصامدين (2)

كما أن عنوان (إلى جبل الأطلس) يطفئ لهيب الخوف من الظلام في القلب، فيبعث في النفس الأمل في غد مشرق واعد، لأن "جبال الأطلس من أوثق صلات الوحدة في المغرب العربي" (3)، كما كما أنه رمز القوة والرجولة والشهامة:

[1]: المصدر نفسه، ص: 215.
[2]: المصدر نفسه، ص: 216.
[3]: المصدر نفسه، ص: 216.

... وها نحن نمضي سراعا
فموعدنا الفجر عند النهاية
غدا في النهاية
سيعلم أعداؤنا أي راية
ستخفق في هامة الأطلس..
سنطرد أعداءنا كالكلاب
ونفنيهم واحدا واحدا
لتبقى الجزائر ملكا لنا
ويبقى حماها لنا وحدنا
ونغدو كراما على أرضنا ![1]

فتنتهي القصيدة نهاية سعيدة مفعمة بالأمل والرجاء، لأن "الحالة التي تحياها البلاد مؤقتة سيزول الضباب وسترجع الأرض إلى أصحابها، وسيصبح الشعب سعيدا كعادته في أرض آبائه وأجداده"[2]، وهذا ما تجسده القصيدة، بل يجسده العنوان قبلها، لأن الطريق إلى جبل الأطلس واعد واعد بالنصر لا محالة.

ويأتي العنوان الموالي في هذا الباب وهو (إلى المقصلة) [3] والظاهر أنه إجابة هو الآخر على العنوان الأول (إلى أين) أو هو إجابة مدعمة للعنوان الذي يسبقه (إلى جبل الأطلس) والكل يدور في حلقة الثورة، والتاريخ الموقع آخر عنوان (إلى المقصلة) أيضا يؤكد ذلك ويجسد سنوات الثورة فقد كتبت في "21 يونيو 1956".[4]

إن قارئ عنوان (إلى المقصلة) يحس أن هناك إعدام وموت ضمن حروفه في ظروف بشعة، فيتبادر إلى ذهنه تلقائيا هذا السؤال: من يكون هذا الذي سيسير إلى المقصلة فيعدم؟ فيشعر أن هناك

1: المصدر نفسه، ص: 216.
2: محمد الطمار، مع شعراء المدرسة الحرة بالجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر08-2005،ص: 29.

3: أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:229.
4: المصدر نفسه، ص: 231.

ميزة خفية في هذا العنوان تحمل عنصر التشويق؛ لأن هذا العنوان يزرع في القارئ فضولا كبيرا في معرفة ذاك المتوجه إلى المقصلة، فيتولد هاهنا سؤال آخر: هل النص المندرج ضمن هذا العنوان سيشبع فضول القارئ؟ ومع النظرة الأولى في البيت الأول للقصيدة تقع العين على (روبسبيير) [*]، فيزول جزء من الغموض يقول:

روبسبيير .. إلى الجولتين

سنعدم روبسبيير

سنحرق هذا الإله ![1]

لقد كشف النص عن اسم الشخص الذي سيعدم، وفي هذه اللحظة يتبادر إلى الذهن جملة من الأسئلة الملحة والتي تبعث في النفس شوقا كبيرا في معرفة من يكون روبسبيير هذا؟ ولماذا سيعدم؟ ومن سيعدمه؟ وما هي حكاية هذا الإعدام؟ ومتى وقع ذلك؟ ومن أمر بإعدامه؟ ومتى كان ذلك؟

كل هذه الأسئلة تجعل القارئ ينساق بلهفة إلى النص ليشفي غليله، فهل يجد الدواء لذلك؟ من الواضح أن هناك تكامل كبير بين عنوان (إلى المقصلة) والنص المندرج ضمنه لأن هذا الأخير يحكي قصة الإعدام بتفاصيلها، فيزيل الضباب الذي قد يدور في ذهن القارئ، يقول:

وساق الشعب طاغية رهيبا

إلى موت أشق من الممات

وأوقفه على خشب وألقى

بحبل الموت في عنق الإله

....

وهذه حكاية قديمة

تاريخها طويل

يعرفها الكبار والصغار

---

[*]: روبسبيير: أحد قادة الثورة الفرنسية، وقد أعدم في ساحة الوفاق (الكونكورد) لطغيانه، نقلا عن الديوان، ص:229.

[1]: المصدر نفسه، ص: 229.

....

على يد التتار...

أبطالها الذين انشدوا النشيد

بالأمس عبر "ساحة الوفاق"

....

وبالأمس جدد للحبل فعله

وأصدر (لاكوست) [*]القس أمره

بأن يشنق الثائرون

ونُفذ في البعض أمره

....

روبسبيير.. إلى الجولتين

سنعدم روبسبيير

سنحرق هذا الإله ! [1]

إن لهذا النص أبعاده الثقافية والتاريخية وحتى النفسية؛ لأنه "ليس تشكيلا مغلقا أو نهائيا ولكنه يحمل آثارا للنصوص السابقة، إنه يحمل رمادا ثقافيا" [2] واسعا وكأنه فتيل يُشعل به النص الجديد فيثريه، أو أنه أدا ة تواصله وإيصاله [3]، فتتقاطع النصوص مع بعضها في عدة أصوات وأفكار، وهي تقنية تصور جمالية الإبداع في الالتقاء والتشابك بين الأفكار، كما تعكس استراتيجية وضع هذه العناوين التي تكمل بعضها البعض في المبنى والمعنى.

وهذا ما يجعلنا نخلص إلى نتيجة مضمونها أن العناوين التي وردت شبه جملة جاءت متماسكة ومتآزرة فيما بينها، كما أن كلا منها يكمل الآخر، والدليل على ذلك أننا إذا حاولنا وضعها مرتبة

(*): روبير لاكوست، المقيم العام الفرنسي في الجزائر، نقلا عن الديوان، ص:230.

[1]: أبوا القاسم سعد الله، ديوان الزمن الأخضر، ص:229- 230- 231.

[2]: جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، ص:99.

[3]: حليمة قطاي، إستراتيجية العنوان في الكتاب النقدي القديم، ص:78.

كما وردت في الديوان فإننا نحس بذاك التكامل ولا نشعر بأي غموض، وكأنها تشكل جملة لها معنى، ويتحقق ذلك في هذه الصياغة.

إلى أين؟ إلى جبل الأطلس، إلى المقصلة، في غابة البشر.

وختاما فإن تقنية العناوين شبه جملة لها ميزتها الخاصة التي تضمن لها الحقيقة النصية التي تمثل الاستمرار، وتمثل التواصل الذي تصنعه الكلمات وتحققه المعاني التي تسير في هذا الديوان باحثة عن النور والاخضرار والحياة...

خاتمة:

لقد حاولت من خلال دراسة العناوين عند أبي القاسم سعد الله أن أقبض على جماليات العنونة، من خلال طريقة صوغها وفك شفراتها وربطها بما يحيط بها من عتبات وفضاءات دلالية تفتح باب المجاورة بين المبدع والمتلقي، فأدركت أن العنوان عتبة بالغة الأهمية لا يمكن تجاوزها بأي حال من الأحوال؛ لأنها المفتاح للولوج إلى العمل الإبداعي...

وتبقى هذه المحاولة جزءا ضئيلا من واسع الإبداعات الفنية في العنوان الذي ترفعه أهميته إلى منافسة النص الشعري في مضمونه وفي شعريته.

وقد حاولت أن أستوعب دلالة العنونة عند الشاعر أبي القاسم سعد الله من خلال ديوانه "الزمن الأخضر"، وذلك باستنطاقها واكتشاف طريقة صوغها لإبراز جمالها، غير أن الحكم على الجمال يظل خاضعا لجملة من الأذواق والأفكار والتصورات، إذ ما نراه جميلا قد يراه البعض بعيدا عن ذلك، وما نراه قوة قد يراه البعض ضعفا وكل ذلك يتوقف على نمط التفكير وما يحيط به من خلفيات ...

ويمكن إجمال النتائج التي توصلت إليها فيما يلي:

- عنوان الزمن الأخضر صياغة جمالية تشد الانتباه إلى ما يحمله الديوان، وما يعج به من مضامين غنائية تجذب المتلقي للولوج إلى عالم الديوان لاكتشاف صورة "الزمن الأخضر" التي لا توحي إلا بالمقاومة والنماء والازدهار، في كل الاتجاهات الفكرية، والتصورية والثورية والإنسانية، والانتماء إلى هذه الحضارة الخضراء، حضارة الإنسان الفطري المرتبط بالطبيعة والحياة والسماء.
- عنوان "الزمن الأخضر" نتاج جهد فكري تصوري، وممارسة يومية عبر رومانسية إسلامية تعشق جمال اليخضور الذي يلون التجربة، ويمتد إلى مناطق اللاشعور، فهو موقف راسخ الجذور، يعبق بالقوة والحيوية، وصوت رائد ملتزم بالحضور والغياب، بالخصوبة والحلم.
- عنوان "الزمن الأخضر" هو إيقاع كل المدونة، بل هو العصب الحركي لكل كتابات أبي القاسم سعد الله الإبداعية، ولحنه المتوالي عبرها ليشمل الإنسان، والزمان والمكان، والسياق

الديني، والسياسي والاجتماعي، فهو الهاجس الذي يؤرقه واللون الأبدي الذي يشده ويصبو هو إلى تحقيقه.

- "الزمن الأخضر" هو الوقت اللامتناهي في حركة إخضرارية مسكونة بالوجع الأول، وجع الانفتاح على الطبيعة والكون والحياة والاخضرار، وجع الشباب والبدء ...
- عنوان "الزمن الأخضر" هو المحور الرئيسي الذي تدور حوله بقية عناوين الديوان، والتي ترمز في معظمها إلى الشباب والثورة والقوة والإسلامية.
- إن قصائد الديوان كلها بعناوينها الفرعية المختلفة تشكل قصيدة واحدة يتضمنها أو يختزلها العنوان الكبير "الزمن الأخضر".
- ثمة علاقة تكاد تكون جدلية بين العناوين المتآزرة والمتظافرة في الفضاء الشعري مع العنوان الكبير محدثة وحدة نفسية وفنية، وأثرا واضحا للقارئ.
- كل ما يحيط بالنص الشعري من عناوين وسياجات بما فيها الإهداءات والمناسبات تتظافر فيما بينها لتُيسر للقارئ عمله وتنير له دربه، إذ تشكل هذه العتبات مصابيح متكاملة، ومستعدة للإنارة متى طرق القارئ بابها، كما تلعب دورا استراتيجيا في فتح آفاق التوقع والتخيل مما يفضي إلى إثراء الفكر التصوري.
- تتمتع العتبات النصية بوظائف دينامية إغرائية تعيينية ترسل أنوارها لتضيء ظلمة النص مما يمنحها خصوصيتها وتفردها.
- إن السياجات التي تحيط بالعمل الإبداعي تدور في حلقة "الزمن الأخضر" وتحمل أبعاده وآفاقه وتنطوي على البعد الديني والسياسي والاجتماعي والثقافي ... وتعكس أمل الشاعر في بلوغ هذا الحلم الأخضر.
- من الناحية التركيبية للعناوين فإن معظم العناوين التي وردت في الديوان جاءت نكرة، معرفة بالإضافة، مما يدل على أن أبا القاسم سعد الله يبحث دائما عن مسند إليه، وكأني به يحس بضعف، ويرى أن الدلالة الكبرى لا تتم إلا بعد إضافة اسمين لبعضهما البعض.
- كما أن الأغلبية الساحقة لهذه العناوين جاءت اسمية مما يوحي بالثبات والرزانة لأن الشاعر ثابت في تفكيره، متزن في آرائه، ورزين في مواقفه ولأن اللون الأخضر يظل رمزا للحياة ولونا للجنة، مما يضفي ميزة خاصة على هذه التقنية المتفردة.

- أما العناوين الفعلية فقد وردت بقلة، فهي تعد على الأصابع، ومع ذلك فقد استخدم الشاعر تقنية التملّك لهذه العناوين، فأصبح بإمكان القارئ أن يتبناها وبذلك تمكن الشاعر من تخليدها لتكتسب صفة الثبات فنستطيع أن نضيفها من هذه الوجهة إلى العناوين الاسمية وهي تقنية تثبت براعة الشاعر في تخليد أفكاره.
- أما العناوين التي وردت شبه جملة فقد وردت أيضا بنسبة قليلة جدا.
- توالت العناوين في الديوان مرتبة ترتيبا زمنيا مما يوحي بأنها تستوعب الجوانب النفسية والتاريخية التي تحيط بالشاعر، وتعكس أفكاره وآراءه تجاه ما يحيط به من ظروف وملابسات.
- العنونة عند أبي القاسم سعد الله تجربة ثرية تجلت فيها العديد من الرؤى والتجارب النفسية والوطنية والجمالية استطاعت، أن تستفز القارئ وتمد سلطانها لتشمل النص بل الديوان بأسره.
- أحيانا يضع الشاعر أكثر من عنوان للقصيدة الواحدة، ولعل ذلك يوحي بأهمية العنوان عند أبي القاسم سعد الله، وإحساسه بأنه عتبة مهمة تختصر له المسافات في إيصال رؤاه وأفكاره للقارئ، ولذلك يحس أحيانا أن عنوانا واحدا لا يفي بالغرض، فيقترح مجموعة أخرى للقصيدة الواحدة في مقدماته الخاصة ليفتح مجالا أوسع يرسم فيه ما يكنه في نفسه.
- وأخيرا فإن الإبداع العنواني عند الشاعر أبي القاسم سعد الله سادته الهواجس الذاتية التي كشفت عن شخصيته المولعة بحب الوطن، والصامدة في وجه الثورة، والتي تطمح إلى الاخضرار في كل مكان وفي كل زمان وفي كل لحظة شعرية تنتابه وتقوده إلى الحلم بالزمن الأخضر والأمل في بلوغه.

ولا أزعم أنني ألممت بكل صغيرة وكبيرة في هذا البحث ويبقى الكمال صفة لا يتصف بها سوى الله سبحانه وتعالى.

وأحمد الله وأشكره وأتوب إليه.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

1 -القرآن الكريم برواية ورش.

2 -أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

3 -أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

4 -أبو القاسم سعد الله، سعفة خضراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

5 -أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

6 -أبو القاسم سعد الله، منطلقات فكرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986.

7 -أبو القاسم سعد الله، السيرة الذاتية والعلمية bell.27@yahoo.com

ثانيا: المراجع

8/ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1966.

9/ إبراهيم رماني، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، باتنة، ط1، 1985.

10/ أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة، دار العودة، بيروت.

11/ أبو عباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والآداب، مكتبة المعارف، بيروت.

12/ ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وأدبه، ت. ع، محمد محي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة التجارية، القاهرة، ج1، ط1، 1934.

13/ أحمد فرحات، أصوات ثقافية من المغرب العربي، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، د. ت.

14/ أحمد مختار البرزة، الأسر والسجن في شعر العرب، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1،د.ت.

15/ أحمد مختار عمر، اللغة والألوان، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1،د.ت.

16/ أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار البعث،دمشق، سوريا، د. ط، تشرين .2004

17/ الزجاجي (أبوا القاسم عبد الرحمان إسحاق)، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، .1979

18/ الهميسي محمود، براعة الاستهلال أو في صناعة العنوان، بحث مقدم إلى مؤتمر النقد الأدبي السادس، جامعة اليرموك، 15- 07-1997، ونشر في الموقف الأدبي، العدد 313، السنة 27 أيار .1997

19/ بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، .2001

20/ بركات محمد مراد، الفن والجمال بين التراث العربي، والرؤية الغربية، ج1، م ج، 2002

21/ جمال الدين الألوسي، الجزائر بلد المليون شهيد، وزارة الثقافة والإعلام، مطبوعات الجمهورية بغداد، .1970

22/ حاشية السنواني على شرح مقدمة الإعراب، ج 1، تصحيح الشيخ محمد شمام، دار الكتب الشرقية، مطبعة النهضة، تونس، الطبعة الثانية، .1883

23/ حسن محمد حماد، تداخل النصوص قي الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، و،ط،1998.

24/ حسين حنفي، حصاد الزمن، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط1، .2004

25/ حسين خمري، شعرية الانزياح في قصيدة "يا امرأة من ورق التوت"منشورات النادي الأدبي، جامعة منتوري، قسنطينة.

26/ رشيد يحياوي، الشعر العربي الحديث، دراسة في المنجز النصي، الشروق، د. ط، .1998

27/ سعيد بن علي بن رهف القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة، ط 3، الرياض، مؤسسة الجريسي، .1997

28/ سمية بولشقر، سيمياء العنوان ودلالته الشخصية في قصة رجل محترم جدا للكاتب إبراهيم الدرغوني، منتديات اتحاد كتاب الانترنيت العرب، 23- 05- 2008.

29/ سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخارجي، القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط2، ج1، 1983.

30/ سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومنهجه، دار الشوق، بيروت.

31/ صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

32/ عبد الحميد هيمة، علامات في الإبداع الجزائري، مديرية الثقافة ولجنة الحفلات، سطيف، الجزائر، ط1، 2000.

33/ عبد الكريم بوصفصاف، المسيرة العلمية والسيرة الذاتية لأبي القاسم سعد الله.

34/ عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالته، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988.

35/ عبد الله ركيبي، على درب المعرفة، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1988.

36/ عبد الله ركيبي، الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى رقم النشر 997/ 81، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.

37/ عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1985.

38/ عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، ط1، 1995.

39/ عدنان حسن قاسم، الاتجاه الأساوي النبوي في النقد الشعري العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر ط1، 2000.

40/ عز دين إسماعيل، الشعر المعاصر وقضاياه وظواهره الفنية، دار العودة، بيروت، ط1، 1981.

41/ عمر أوكان،لذة النص أو مغامرة الكتابة لدى بارت إفريقيا الشرق، 1996،ر. إ.ق90- .91

42/ عمر بن قنينة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخا، وأنواعا، وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 5- .1995

43/ فضل ثامر، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والتطبيق في الخطاب الحديث) م. ث. ع بيروت، لبنان، الدار البيضاء، ط1، .1994

44/ قاسم حسين، الألوان، دار علاء الدين دمشق، ط1، 2006.

45/ محمد البشير الإبراهيمي، تصدير أبوا القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، .1984

46/ محمد الحسين فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة دار هومة، الجزائر، ج.3

47/ محمد الطمار، مع شعراء المدرسة الحرة بالجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 08- .2005

48/ محمد زغينة، شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، رقم الإيداع القانوني، 11- 03- 2005، المكتبة الوطنية ردمك، 2- 0750- 9947- 2005.

49/ محمد زكي العشماوي، الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد، دار النهضة المعاصرة للطباعة والنشر، بيروت.

50/ محمد عابدي الجابري، التراث والحداثة "دراسات ومناقشات، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1994.

51/ محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، دار العودة، بيروت، ط06- .1981

52/ محمد فكري الجزار، العنوان والسيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر.

53/ محمد مصطفى هدارة، بحوث في الأدب العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط 1، 1994.

54/ محمد مفتاح، دينامية النص تنظير وإنجاز، المركز الثقفي العربي، بيروت، ط2، 1990.

55/محمود أحمد نخلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1998.

56/ مصطفى لطفي اليوسفي، لحظة المكاشفة الشعري وإطلالة على مدار الرغب، الدار التونسية للنشر د. ط، تونس 1996.

57/ مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، 1964.

58/ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وشهادات دار الغرب الإسلامي، ط11، 2000.

59/ نذير العظمة، التغريب والتأصيل في الشعر العربي الحديث، دراسة نقدية للشعر والميثيولوجيا، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية السورية، دمشق، ط1، العدد 118 سنة 1999.

60/ نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، ص ب 1085، ط1، يناير 1981.

61/ هجيرة لعور، قراءة سيميائية لقصيدة مدينتي، منشورات النادي الأدبي، جامعة منتوري قسنطينة.

62/ هند سعدوني، قراءة سيميائية لقصيدة مدينتي، منشورات النادي الأدبي، جامعة منتوري، قسنطينة.

ثالثا: المعاجم والموسوعات.

63/ إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، الجزء الأول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، اسطنبول، تركيا.

64/ ابن كثير، تفسير ابن كثير، دار الحديث، القاهرة، مصر، الكويت، الجزائر، ط.1

65/ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، .2000

66/ أحمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1960، المجلد الرابع.

67/ الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، الباب الحلبي، القاهرة، الطبعة 02، 1970، الجزء الثالث.

رابعا: الرسائل الجامعية

68/ حليمة قطاي، إستراتيجية العنوان في الكتاب النقدي القديم، بحث مقدم لنير درجة الماجستير، إشراف الدكتور سعد خضراوي، جامعة باتنة، 2004- 2005.

69/ شادية شقروش، الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح، دراسة سيميائية، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة باتنة، 2001- .2002

70/ الصالح زكور، ديوان اللؤلؤة لعثمان لوصيف، دراسة في سيمياء العنوان، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في الأدب العربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006- .2007

71/ عبد السلام ضيف، الكتابة الأدبية عند أبي القاسم سعد الله، مذكرة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إشراف الدكتور سعيد خضراوي، السنة الجامعية، 2004- .2005

72/ عبد القادر رحيم، سيمياء العنوان في شعر مصطفى محمد الغماري، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير جامعة بسكرة، 2004- .2005

73/ عبد الكريم شيرو، التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة باتنة، 2006- 2007.

74/ فهيمة بوقندورة، جلالية الحب والموت، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس، جامعة باتنة، 1999- 2000.

75/ محمد كركبي، بنية الجملة في الأدب الكبير لابن المقفع، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة عنابة، 1986.

76/ نسيمة بن عباس، إستراتيجية العنونة عند محمود درويش، مقاربة سيميائية، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2001/ 2002.

خامسا: المراجع المترجمة

77/ أندري دي لنجو، في إنشائية النواتج النصية، ترجمة سعاد إدريس، مجلة نوافذ النادي الأدبي الثقافي، جدة العدد 15 شعبان 1420.

78/ بيير جيرو، علم الإشارة السيميولوجية، ترجمة الدكتور مدور عياش، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، طبعة 1992.

79/ جوليا كريستينا، علم النص، ترجمة فريد الذاهيني، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، 1994.

80/ روبات هولب، نظرية التلقي، ترجمة عز الدين إسماعيل، دار طوبقال للنشر، 1994.

81/ رولان بارت، درس السيميولوجية، ترجمة عبد العزيز بن عبد العلي، دار طوبقال للنشر، ط 3، 1993.

سادسا: المجلات والدوريات

82/ المجلة الإنجليزية للألوان، ترجمة بهاء الدين إبراهيم، مجلة حراء، يناير/مارس 2006.

83/ مجلة اللون الخضر في القرآن، وزارة الصحة، المملكة العربية السعودية، 2007 .

84/ مجلة أمال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، 1983 .

85/ مجلة جذور، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ديسمبر 2006.

86/ مجلة عالم الفكر، ج1، ع3، أفريل .1981

87/ مجلة عالم الفكر، ع3، يناير/مارس 1997.

88/ جريدة الشروق اليومي، الأحد 24 أكتوبر 2004، الموافق لـ: 10 رمضان 1425 هـ، السنة الرابعة، العدد.1213

89/ جريدة النصر، العدد 4385، الجزائر.

90/ جريدة النهار، الخميس 20 حزيران 2006.

سابعا: المراجع الأجنبية:

91 /Leoh.Hock: la marque du titre dispositifs ilimiotique d'une pratique textuelle, Mouton Publishes, tje hargue, paris New york.

92 / Gérard Genette: Sewits éditionde sewil Paris 1987.

المواقع الإلكترونية:

93 / WWW.Adlmq.dz

94 / WWW. Abdmqe. Com 2006

95 / http/ members. Tripod. Com/ ayah werjaz/ medicine 5. httm.

96 / WWW. C Documents Settings

97 ./ http/ an wikipedia. Org